الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التـــاريخ

الرقم التسلسلي: ...../2022

الإصلاح السياسي عند خير الدين التونسي من خلال كتابه "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" (1822م-1889م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

إعداد الطلبة:

- سهام سعودي -
- إيمان سعودي

تحت اشراف:

د . عبد الغني حروز

لجنة الاشراف

أ.د. محمود بوكسيبة	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيـــــسا
د. عبد الغني حروز	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشـرفـا ومقررا
أ.د. مصطفى عبيد	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنـا

السنة الدراسية (2021-2022م/1443هـ)

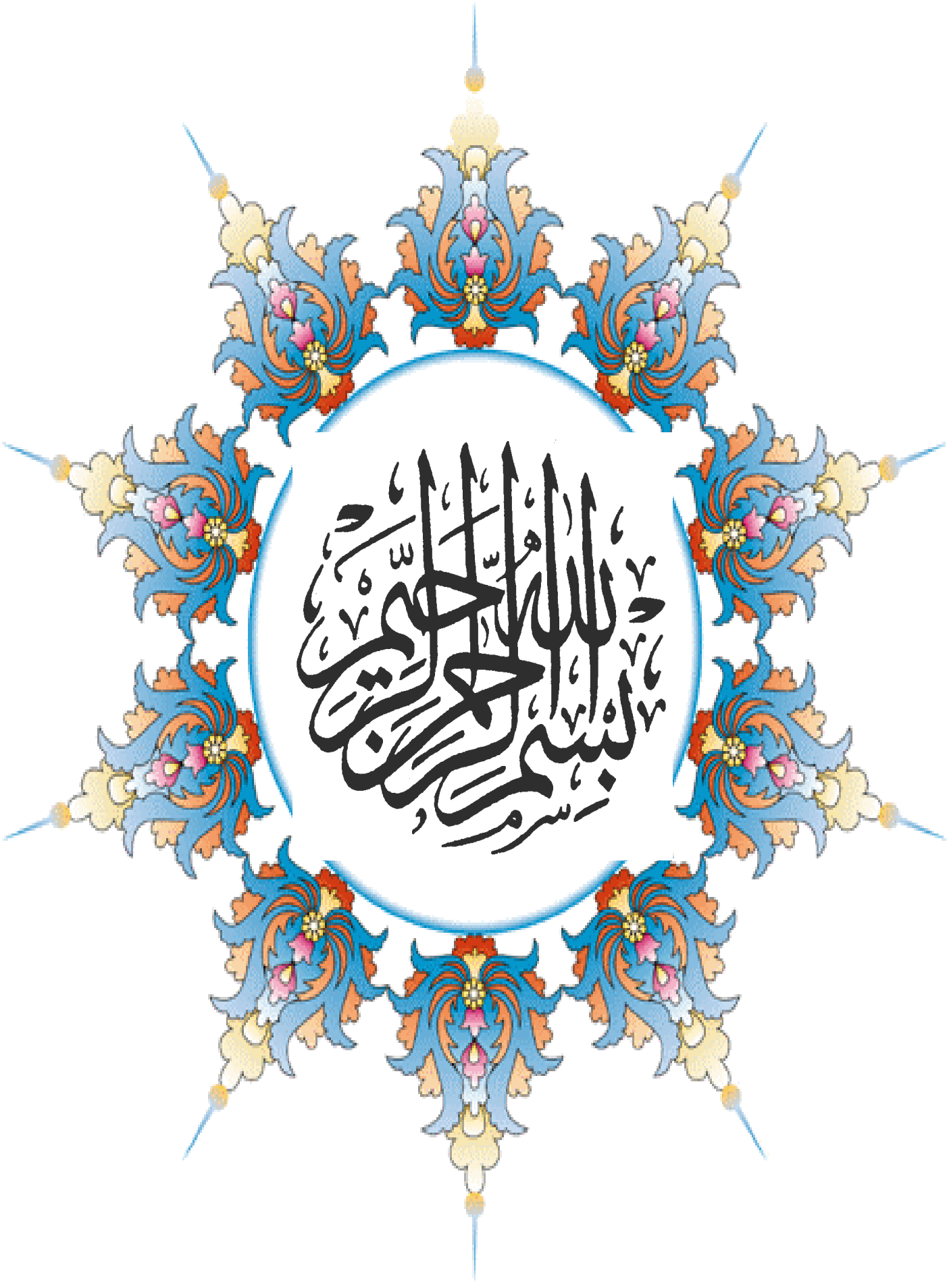
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (19)﴾ سورة النمل الآية 19.

وقال رسول الله ﷺ **من لم يشكر الناس لم يشكر الله**

الحمد لله حمدا كثيرا والشكر لله رب العالمين الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ووفقنا إلى إتمام هذا العمل.

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو بعيد ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل **عبد الغني حروز** الذي أشرف على انجاز هذا العمل وقدم لنا العون الكثير فشكرا على جميل صبركو حسن ارشادك .

كما نتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى جميع **أساتذة قسم التاريخ بجامعة المسيلة** .

سعودي سهام

سعودي ايمان

إهـــداء

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على صاحب الشفاعة سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

نشكر الله العلي الذي أعاننا في مشوار مذكرتنا

نهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

إلى التي قال في حقها صلوات الله عليه سلامة "أمك ثم أمك ثم أمك"

إلى التي سقتنا لبنة المحبة إلى الشمعة التي تنير حياتنا أمنا حبيبتنا

إلى نبع الحنان التي أعانتنا بالدعوات إلى التي لا نملك حروف الكلمات أن نوفيها حقها

إلى التي لا تعرف الملل وتسهر لراحتنا إلى الغالية التي لولاها لما وصلنا لهذه اللحظة

نسأل الله الشفاء لها أمي الحبيبة ولجميع مرضى المسلمين .

إلى الذي ألبسنا ثوب الإرادة والمنافسة والتحدي إلى الذي أهدانا شراع الأمل والسعادة

إلى الذي عانى من أجل تنشئتنا وتقويمنا إلى أشد و أطيب وأحن قلب علينا في الدنيا

إلى والدنا راجح الغالي سندنا ومرشدنا في الحياة إلى المعطاء الذي مد يده لنا في كل الأوقات إلى من تشققت يداه في سبيل رعايتنا أبونا الصبور .

إلى توأم روحنا ورفيقة دربنا إلى صاحبة القلب الطيب والحنون والنوايا الصادقة

إلى من معها سرنا الدرب خطوة خطوة ومازالت ترافقنا بعطف حتى الآن أختنا سليمة أدامها الله عزا لنا .

إلى الذي نرى التفاؤل بعينيه والسعادة بضحكته ونختمي بوجوده إلى من حبه يجري في دمنا ويلهج بذكراه فؤادنا إلى اخي أمين أسأل الله الشفاء والصلاح له .

إلى من حملناهم لقب العروى وعلى رأسهم عماتي جميلة و عيشوش ومرزاقة ، فضيلة ، حفظهن الله ورعاهن .

إلى شمعتي البيت وأنوارها ومن تحببنا بسمتهما ودعواتهما ترافقنا جدتاي ورقو وعائشة

إلى مسك البيت الذين فارقونا أجدادنا سعد و لخضر أسال الله لهما الرحمة ويجمعنا بهما في الجنان

إلى الكنكوتان جهينة وسراج عبد الرحمان

إلى القلوب الطيبة التي نكن لهم مشاعر الإحترام والتقدير رياض مسعودي . و د /عبد الغنيالى من مد لنا يد العون بدعمه لإتمام هذا العمل لخضر عزيزي

إلى زملائنا الذين لم يبخلوا علينا بالإرشاد : علاء ، خولة ، وليد ،أسامة ،لخضر ،نبيل ،أحمد

إلى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معا نحو النجاح صديقاتنا : شيماء ، أميرة،شيماء ، سهام

إلى من علمونا حروفا من ذهب وكلمات من ورد وعبارات من أسمى وأحلى عبارات في العلم إلى من صاغوا لنا علمهم حروفا ومن فكرهم منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح إلى أساتذتي الكرام بقسم التاريخ جامعة محمد بوضياف كل بإسمه .

إلى أستاذنا الفاضل المشرف على مذكرتنا الأستاذ عبد الغني حروز الذي كان لنا نعم العون إلى كل الطلبة الجزائريين إلى شعب فلسطين الثائر أسأل الله أن ينصرهم و الإسلام والمسلمين إلى من يعنيهم العلم وإلى من سقط قلمنا عن إسمه سهوا نهدي العمل المتواضع راجين من المولى عز وجل أن يجد القبول والنجاح .

*فافخر بعلم ولا تطلب به بدلا * فالناس موتى وأهل العلم أحياء .*

سعودي سهام . . . سعودي ايمان

مقدمة

مقدمـــة :

إتسمت الأوضاع السياسية بالبلاد التونسية في ظل الخلافة العثمانية ،خلال القرن 19م بالتراجع والتأزم والتقهقر، أمام تزايد الأطماع الخارجية واستفحال الفساد الداخلي، وأصبحت البلاد التونسية مهددة بخطر نمو التكالب الاستعماري لبسط الهيمنة على أراضي الايالة العثمانية ولانقضاض على العالم العربي الاسلامي .

وفي ظل هذه مرحلة التي تميزت بالتحديات التي تنذر باللاإستقرار السياسي في كل أنحاء الدولة العثمانية عامة والبلاد التونسية خاصة، إنبثقت عدة حركات إصلاحية تحديثية ميزتها بروز شخصيات سياسية والتي كان من روادها خير الدين باشا الذي تبنى نهجا إصلاحيا سياسيا يدعو لضرورة الإصلاح و الدخول في معترك الحضارة الغربية لبعث الحضارة الإسلامية العربية.

لعب خير الدين باشا دورا فاعلا في ريادة الأعمال و السياسة كتيار مناهض للأزمات السياسية الداخلية والأطماع الخارجية في قرن شهد العديد من التحولات العصيبة، وعمل على بعث الروح الإسلامية لمواجهة أفكار وقوات الحضارة الغربية .

فلا يمكن تجاهل الأدوار السامية التي تقلدها هذا الأخير ، الذي يعد أحد أعلام النهضة العربية الإسلامية ورمزا من رموز الإصلاح في تونس.

- **أسباب اختيار الموضوع :**

لم يكن إختيارنا لهذا الموضوع وليد صدفة ، بل راجع إلى جملة من العوامل دفعتنا لإختياره:

أسباب ذاتية : تمثلت في الميول الشخصي والفضول قصد التعرف على شخصية المفكر خيرالدين التونسي ، وهو يمثل جزء مهم من تاريخ تونس الحديث ويجسد الحركة الاصلاحية فيهاحيث لعب الدور الفعال في بعث روح الاصلاح في هذه الفترة ،و لسعينا لإثراء المكتبة الجامعية ببحث شغل أهم فترة في تاريخ تونس الحديثة والرغبة في التذكير بمنجزات رجل الدولة خير الدين التي ظلت كثيرا طي النسيان ،كما أن ذكره نادرا رغم مرجعيته في كثير من أعمال رواد الحركات التحريرية في المغرب العربي التحديثية .

أسباب موضوعية : إن الدافع الجوهري الذي شدنا بشكل جدي لهذا الموضوع هو الإطلاع على إصلاحات خير الدين خصوصا في الميدان السياسي للبلاد التونسية ومساعي هذا المفكر لبعث الحضارة الإسلامية العربية ، بالإضافة للكشف عن الأوضاع التي مرت بها تونس العثمانية خلال القرن 19م وما طرأ عليها من تراجع ، وتسليط الضوء على فترة ريادة خير الدين للبلاط التونسي

- **حدود الدراسة :**

إن الفترة الزمنية التي تطرقنا لها في هذه الدراسة يرجع إمتدادها إلى ما بين سنتي 1822م و1889م ،بحيث أن الحدث الأول يتعلق بالسنة المرجحة لميلاد خير الدين باشا حسب بعض الدراسات العلمية و على إختلاف المصادر الموثوقة في تحديد ذلك ، بينما الحدث الثاني فيمثل سنة وفاته.

كما أن الفترة أشرنا لها غنية وحافلة بالتغيرات السياسية التي طرأت في عهد المصلح التحديثي خير الدين شهدت من خلالها تونس تغيراتكبرى في شتى الميادين خصوصا في علاقاتها مع أوروبا ، و في هذه المرحلة من حكم خير الدين صدرت وثيقة عهد الأمان 1857م الذي يعتبر أول دستور تونسي الذي منح التونسيين حقوقهم الأساسية في الأمن على أرواحهم وأملاكهم وأعراضهم،وفي هذه الفترة عين خير الدين وزيرا للحربية واصبح مقاوما للحكم الإستبداديوحريصا على إقامة العدل ، وشهدت كذلك دستور 1861م في عهد محمد الصادق الباي الذي يتضمن تنظيم الحياة السياسية في تونس خاصة بعد مرحلة تولي خير الدين للوزارة الكبرىومناهضته للنظام الإستبدادي.

- **المصادر والمراجع :**

ومن أجل إنجاز موضوعنا إعتمدنا على جملة من المادة العلمية أهمها :

أ/ المصادر :

من بين أهم المصادر التي اعتمدنا عليها نذكركتاب "**صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار** " لمحمد بيرم الخامس ،ج2 ، الذي أفادنا كثيرا خاصة من جوانب حياة خير الدين ومن المصادر التي إستقاها في بلورة أفكاره الإصلاحية السياسية بحكم درجة القرابة بينهما وهي

الصداقة كما عملا سويا في البلاط التونسي ، ج 2في أعماله الحضارية ،أما الجزء 3 أفادنا في إصلاحاته السياسية .

وكتاب خير الدين التونسي "**أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك**"بطبعاته الثلاث أفادنا في الفصل الأول والثاني والثالث في التعريف بشخصيته وأعماله السياسية وأسباب الدعوة لضرورة الاصلاح و الإقتباس من أوروبا .

كما إعتمدنا على " **مذكرات** " المترجم له **خير الدين باشا** ، حيث أفادنا هذا المصدر القيم الذي ألفه سنة **1867م** في التعريف بشخصية ومميزاتها وإبراز أهميته و إستخلاص أفكاره الإصلاحية السياسية .

بالإضافة " **لكتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان** "**لأحمد بن أبي الضياف** الذي أفادنا كثيرا خاصة "**الجزء 4**" منه الذي تناول تاريخ أحمد باي ومحمد باي وكانت إستفادتنا منه بصفة خاصة في التطرق لأحوال تونس وإلى محاولات الإصلاح .

-ب/ المراجع :

اعتمدنا على مجموعة معتبرة من المراجع نذكر منها "**كتاب زعماء الإصلاح في العصر الحديث** "**لأحمد أمين** الكتاب تحدث عن عدة مصلحين برزوا في العالم الإسلامي العربي من ضمنهم خير الدين باشا .

و كتاب " **المؤرخون التونسيون**"**لأحمد عبد السلام** وكتاب "**تراجم المؤلفين التونسيين**"**لمحمد محفوظ** وكتاب "**خير الدين التونسي أبو النهضة التونسية**"**لسمير أبو حمدان**في تتبع حياة خير الدين والوظائف التي تقلدها، بالإضافة كتاب الإستعمارو تأسيس الحركة الإصلاحية السياسية التونسية لزهير الذوادي .

ج / المقالات العلمية

كما اعتمدنا على بعض المقالات العلمية من بينها "**الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن التاسع عشر**"**لعبد القادر دوحة** أفادتنا في معرفة طابع إصلاحاته السياسية في تونس وعلاقتها بالحضارة الغربية

- **أهداف الدراسة وأهميتها**

هدفنا من هذه الدراسة هي تبيان أهمية هذا الموضوع كونه يعالج موضوعا من موضوعات التراجم في تاريخ الايالة التونسية خلال الفترة الحديثة والمعاصرة وتناول دراسة عن جهود أحد الأيقونات البارزة في مسار الحركة الإصلاحية التحديثية السياسية التونسية، وهي الشخصية الفذة **خير الدين باشا التونسي** الذي برز في فترة شهدت تكالب إستعماري خلال المنتصف الثاني من القرن 19م ،وهي الفترة الحاسمة و الحساسة لايمكن للباحث إهمالها ميزتها نهضة أوروبية في شتى الميادين مقابل ركود سياسي بالبلاد التونسية خاصة وبلدان العالم الإسلامي عامة .

وفي ظل هذه الظروف برزت حركات إصلاحية داعية لضرورة الإصلاح والتجديد والدخول في معترك الحضارة الإسلامية و التي كان من زعمائها خير الدين الذي نادى بالعدل والإصلاح وهذا تجلى واضحا في مؤلفه " **أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك**".

- **إشكالية الدراسة :**

تتمحور إشكالية بحثنا في نقطة مركزية تتجلى في إبراز إصلاحات خير الدين السياسية في تونس العثمانية من خلال مؤلفه ومن هذا المنطلق يرتكز بحثناعلى إشكالية الأساسية هي :

- إلى أي مدى إستطاعت التجربة الإصلاحية السياسة لخير الدين باشا النهوض بالبلاد التونسية لصد الأطماع الغربية في ظل الحداثة الليبرالية ؟

وتندرج تحت هذه الاشكالية الاساسية عدة اشكالات فرعية كالآتي:

- ماهي أهم الظروف و الأوضاع التي مهدت لبروز تجربة خير الدين السياسية الإصلاحية في البلاد التونسية ؟
- من يكون خير الدين باشا وما تميز به من أعمال ليتصدر قمة هرم الحكم التونسي في عصره ؟

- هل يعتبر مؤلفه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " إدراك لواقع مجتمعه وما عاناه أم نتيجة إنبهار بما عاينه من تحضر أوروبي ؟
- فيما تجلى مبدأ ضرورة الإقتباس من الغرب وما نظام الحكم الذي أراده للنهوض بتونس والأمة الإسلامية ؟
- ومن المتسبب في إجهاض تجربته السياسة والإصلاحية ؟ وهل كانت أسباب الفشل داخلية أم خارجية ؟

- **المنهج المتبع :**

أما فيما يخص المنهج الذي ارتأيناأن نتبعه في موضوع الدراسة حاولنا أن نستغل من المناهج ما يخدم موضوعنا ، لذلك كان اعتمدنا على المنهج التاريخي كونه الأنسب لدراسة هكذا موضوع وبالإضافة الىأن طبيعة الموضوع فرضته علينا في تتبع حياة خير الدين باشا وذكر خصاله وكل ما قام به من إصلاحات سياسية .

إضافة الى توظيفنا لآلية الوصف خاصة في الفصل الأول في وصف شخصية خير الدين التونسي وما ميزها وما الى ذلك ... ؛ زد على ذلك تخلل موضوعنا النقد حيث تم توظيفه في نقد شخصية خير الدين معتمدين في ذلك على أراء من عاصروه.

- **الخطة :**

للإجابة على الإشكالية والتساؤلات سابقة الذكر قسمنا دراستنا إلى :فصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسية يتفرع كل فصل إلى ثلاثة مباحث ماعدا الفصل الأخير إحتوى على أربعة مباحث تتكون بدورها إلى عدة عناصر بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة مرفقة بمجموعة من الملاحق وقائمة البيبليوغرافيا .

الفصل التمهيدي خصصناه للحديث عن أوضاع تونس العثمانية خلال القرن 19م وأدرجنا فيه مرحلة ما قبل الحماية وأوضاع تونس في تلك الفترة ثم أشرنا إلى مميزات القرن 19م بتونس، والمواقف الدولية من فرض الحماية على تونس .

الفصل الأولتطرقنا فيه إلى سيرة خير الدين التونسيمن ولادته 1822م والأعمال التي قام بيها إلى غاية وفاته1889وتطرقنا فيه بمختصر إلى وطنيتهوممیزاته والمناصب التي إعتلاها في تلك الفترة.

الفصل الثاني تناولنا فيه التعريف بمؤلف خير الدين الشهير الموسوم بعنوان "**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** " و ظروف كتابته ودواعي التأليف للمؤلف وما إحتواه المؤلف ثم عرجنا بموجز لعوامل قيام حركته الإصلاحية السياسية التحديثية وخصائصها ومحاولات الإصلاح في تونس .

الفصل الثالث والأخير عالجنا فيه إصلاحات خير الدين السياسية المستمدة من الحضارة الغربية في الفترة ما بين 1853/1877 وتداعيات إجهاض الحركة الإصلاحية السياسية وإنعكاساتها على تونس: حيث أدرجنا في المبحث الأول دعوة خير الدين لضرورة التوجه للاقتباس من أوروبا في التنظيمات السياسية التونسية وركائز الإصلاح وفق ركائز وإصلاح نظام الحكم الفاسد تناولنا فيه بموجز (العوامل التي ساهمت في بلورة فكر خير الدين – الحرية كشرط جازم والمجالس في الوزراء واكتساب العائلة المالكة للمعارف ، ثم أبرزنا في المبحث الثاني مشروطية القانون عند خير الدين في إصلاح هيكل الحكم السياسي في تونس، اما المبحث الثالث فتحدثنا عنمناهضة النظام الإستبدادي داخل تونس ومواجهته بإصلاح سياسي على النمط الغربي (الأوروبي) و تطرقنا إلى مناهضة النظام الإستبدادي في عهد خير الدين في منتصف القرن 19م وجسدنا إصلاحاته السياسية عقب توليه للوزارة، وختمنا بمبحث رابع تطرقنا فيه لتداعيات إجهاض وفشل خير الدين الإصلاحية وإنعكاسات ذلك على تونس .

أما **الخاتمة** فقد جمعنا فيها معظم وأهم النتائج التي توصلنا لها في شتى جوانب الدراسة مجيبين عن ما طرح في الإشكالية والتساؤلات وأهم ما خلصنا له في فصول البحث .

- **الصعوبات :**

بالنسبة للعراقيل التي واجهت بحثنا كونه كأي بحث علمي لا يخلو من الصعوبات ، إنحصرت في صعوبة – الحصول على أهم المصادر الأرشيفية التي تخدم وتثري موضوعنا التي لا تتوفر إلا بالبلاد التونسية – صعوبة القيام بدراسة ميدانية للحصول على المقالات السياسية التي كان ينشرها

لشخصية المترجم له في جريدة الرائد التونسي – ، وتناول الكتابات لهذا الموضوع بصورة سطحية شكل لنا حاجزا في جمع المادة العلمية وطرحها بشكل متناسق ،وكذا الظروف الصحية لنبع الحنان والدتنا وأخونا التي طالما ظلت تجبرنا على إتمام العمل ،سائلين المولى عز وجل الشفاء لهما ولجميع المسلمين

أوضاع تونس العثمانية قبل ظهور الإصلاح السياسي خلال القرن 19م

1- أحوال تونس السياسية في القرن 19 م (مرحلة ما قبل الحماية) .

2- مميزات القرن 19م .

3- فرض الحماية على تونس والمواقف الدولية منها .

أوضاع تونس العثمانية قبل ظهور الإصلاح السياسي خلال القرن 19م أحوال تونس السياسية في القرن 19 م (مرحلة ما قبل الحماية) :

لقد طرأت على تونس العهد العثماني تغيرات شملت مختلف الجوانب السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ، خاصة في القرن 19 م، الذي يعد القرن العصيب مقارنة بالقرون السالفة ، حيث شهد القطر التونسي خلاله أحداثا جسيمة بالأخص في فترة البايات نتج عنه اضطرابات داخلية و تأزم الوضع الاقتصادي و هذا ما أثر على الحالة الاجتماعية في ظل تنامي الأطماع الجانبية خاصة فرنسا التي تمكنت بدهائها ومكرها من الظفر بتونس ، لتكون الحلقة الثانية بعد الجزائر مستعمرة فرنسية.

ومن خلال هذا الفصل نستنتج أوضاع تونس خلال القرن 19 فما هي الظروف التي تميزت بها تلك الأوضاع؟

يتعلق الوضع السياسي بقيام الأسرة الحسينية على توارث الحكم في تونس ، حيث إمتد الحكم أكثر من قرنين من الزمان(1957/1705م)[1] فبرز فيها البايات والذين حكمو البلاد بشكل مستقل عن الدولة العثمانية مما جعل التبعية شكلية للباب العالي ، إذ جمع الباي بين السلطتين التشريعية و التنفيذية وكان بإمكانه النظر في مختلف القضايا العدلية واعتبرت جُلى قراراته قانونا نافذا ، فالسلطة الفعلية قبيل الحماية كانت بين يدي الوزير الأكبر الذي عمل على تيسير الشؤون المالية و الخارجية للإيالة. [2]

لقد شهد الوضع السياسي بتونس دخول العثمانيون لتونس عام981هـ (1574–1573)،وانهو حكم الاسرة الحفصية[3]،كما طردو الاسبان اللذين استنجد بهم اخر الحكام الحفصيين ووضع القائد العثماني سنان باشا نظاما للحكم في تونس يقوم على والٍ يمثل السلطان برتبة بإشاوهورجلمدنييساعدهمجلساستشارييتألفمنعدة ضباط ،وموظف يشرف على الشؤون المالية يلقب

---

[1] شوقي عطا الله الجمل ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا،تونس ،الجزائر ،المغرب)ط1،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، مصر ، 1977 ، ص110.

[2] علي المحجوبي ، إنتصاب الحماية بتونس ، تع: عمر بن ضو؛ حليمة قرقوري ،سراس للنشر ،تونس، 1986، ص8.

[3] محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي –التاريخ المعاصر: بلاد المغرب ،ط2– المكتب الإسلامي ، بيروت ،1996، ص121 .

(الباي)[1] وقائد عسكري برتبة رائد يحمل لقب(الاغا)ويتبعه ضباط للفرق العسكرية كل واحد منهم برتبة نقيب ويعرف بالداي وتعاقبوا علىالسلطةحتى عام 1047هـ(1637).حيث برزت سلطة الباي فتغلب على الداي.وتسلم الحكم وظهرت اسرتان من البايات اولهما:الاسرة المرادية التي حكمت من 1047هـ (1637م) الى 1114هـ(1702)،ثم الاسرة الحسينية ،وتعاقبت الحكام منها من 1114الى1377هـ (1957)،لكن الصراع بين ابنائها ادى الى القضاء عليها [2]،هذا ما ادى الى تدخل اعيان تونس لمبايعة **حسين بن علي**[3]دايا على تونس سنة 1705فلعله كان من حسن حظ تونس ان نظام الدولة :اخذ يستقر من عهدالمراديين فاستطاع حسين بن علي ان يحقق الامن والاستقرارفي البلاد وجعل الحكم يتداول بين الذكور بحسب كبر السن ضمن سلالته كمؤسس للدولة الحسينية نسبة اليه. [4]

كان النظام السياسي و رغم تبعيتيه الشكلية **للباب العالي**[5]فإن الباي كان في حقيقة الامرمستقلا،فهويجمع السلطتين التشريعية والتنفيذية وبإمكانه النظر في مختلف القضايا العدلية ،وتعتبر كل القرارات والمراسيم التي تصدرعنه قانونا نافذ المفعول .ورغم مايتمتع به الباي من نفوذ مطلق ،فإن السلطة الفعلية كانت قبيل الحماية بين يدي الوزير الاكبر الذي يباشر تسيير الشؤون المالية والخارجية للإيالة ،يساعده في الادارة العامة للبلاد و وزير الداخلية يسمى وزير القلم ،ومستشارون يرأسون مختلف الاقسام إلى جانب

---

[1]الباي هو أول الألقاب الملكية الحسينية ،معرب من لفظ بك بالتركية ،ومعناه السيد العظيم وهي في أصل عندهم في الترك .من القاب رؤساء الجيش وأبناء الباشوات ،كما أن لفظ باي معناه أمير في اللغة الفارسية؛ **ينظر** :محمد بن خوجة ، صفحات من تاريخ تونس ، تق و تح :حمادي الساحلي؛ الجيلاني بن الحاج يحيى ،ط1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1986، ص07 .

[2]زين العابدين شمس الدين نجم ، تاريخ العرب الحديث و المعاصر ،ط1 ، دار المسيرة للطبع والنشر والتوزيع، عمان ، 2011م ، ص 137-183 .

[3]– **حسين باي بن علي:** :لم يكن تركيا ولا تونسيا وانما من جزيرة كندية إغريقية الاصل في شرق الابيض المتوسط .جاء الى تونس ،وارتبط بالجيش في عهد المراديين ،اختيربايا لتونس و وضع الامارة في تونس وراثية ؛ **ينظر** :عبد الكريم غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي : عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر ،ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1426هـ– 2005م ، ج2 ، ص 351.

[4]علي المحجوبي ، المرجع السابق ، ص8.

[5]**الباب العالي:** الاسم المتعارف عليه لمقر الحكومة العلية في عاصمة الامبراطورية العثمانية ،ويبدو أن التسمية اشتقت من الطبيعة المرتفعة لمدخل باب رئاسة الحكومة في السراي الحكومي ،وكان يقصد بها البلاط السلطاني في استانبول ثم أصبح يدل ابتداء من عام1718 على مقر الصدر الأعظم ، و سائر الوزارات و الدوائر الرسمية العثمانية ؛ **ينظر**: عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، إشراف التنقيح :رشاد البيبي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، ج1 ،ص 452.

وزير الحرب و وزير البحرية اللذان يرمزان إلى التقاليد العسكرية للدولة الحسينية[1]ومن ابرز بايات الاسرة الحسينية نجد:

اول من تولى الامر منهم مؤسس البيت الحسيني ثابت الاركان راسخ البيان المولى:

"**حسين باي بن على تركي سنة (1117/1705)**ثم حفيده للاخ المولى **علي باي الاول بن محمد إبن علي في سنة (1148/1735)**ثم **المولى محمد الرشيد باي بن حسين بن علي في سنة (1196/1782)م** ،ثم اخوه **المولى بن علي باي الثاني في سنة (1172/1781م)**،ثم ابنه **حمودة باي في سنة (1196/1782م)**ثم اخوه **المولى عثمان باي في سنة (1229/1814م)**ثم ابن عمه المولى **محمود باي ابن محمد الرشيد في سنة (1230/1814)**،ثم ابنه **المولى حسين باي الثاني سنة (1239/1824م)**ثم اخوه **المولى مصطفى باي في سنة (1251/1835)احمد باي الاول (1253/1837)**ثم **محمد باي بن حسن باي الثاني في سنة(1272/1855)ثم الصادق باي[2] سنة (1276/1859)**ثم **علي باي الثالث في سنة (1299/1882)**ثم **محمد الهادي في سنة (1320/1902)**ثم **محمد الناصري باي (1324/1906)**ثم **محمد الحبيب باي سنة (1340/1922)**".[3]

عرفت تونس اوضاع مترديه في هذا القرن (ازمة)سنة1881والحملة العسكرية الفرنسية على البلاد التونسية ففرضت عليها معاهدة الحماية في 12ماي من نفس السنة 1881في اطار التوسع الاستعماري الاوروبي خلال القرن 19 ،وهو قرن تقدم اوروبا الغربية علميا وصناعيا نحوالازدهار والقوة والسيطرة العالمية ،فأصبحت البلاد محل تنافس قوى استعمارية[4] حيث تعتبر سنة 1815علامة تشهد على التغيير الحاصل في ميزان القوى بين اوروبا وبين البلاد التونسية التي كانت جامدة في تراجع وتقهقر ملحوظ وهو ماعرف بالقرن العصيب الذي بدايته تنذر بالسوء. [5]

ومن العوامل التي أدت لدخول تونس في الأزمة السياسية نذكر منها:

---

[1]علي المحجوبي ، المرجع السابق، ص08.

[2]محمد بن خوجة،المصدر السابق ، ص ص 57-59 .

[3]- **محمدالصادق باي** : اعتلى العرش بعد وفاة أخيه محمد باي (1881-1859) وهو باي تونس 12برز حكمه خلال عهد الامان وعلى عهده أصبح خير الدين وزيرا أكبرا كما وقع معاهدة باردو والتي فرضت فرنسا من خلالها الحماية على تونس ؛**ينظر**: أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ،مسامرات الظريف بحسن التعريف ، تح و تع :الشيخ محمد الشاذلي، النيفر،تونس، ص64- 85 ؛ وللمزيد **ينظر** : (**الملحق 01**).

[4]خليفة الشاطر ، تونس عبر التاريخ : الحركة الوطنية ودولة الإستقلال ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ،تونس، 2005 ، ج3 ، ص 07.

[5]محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس في عصورماقبلالتاريخ إلى الاستقلال ،ط3 ،تع :محمد الشاوش؛ محمد عجينة ،دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص ص 97 96.

-تدهور الاوضاع السياسية في تونس بعد وفاة**حمودة باشا**[1]في سبتمبر1814وزوال الفريق الحاكم الذي كونه الباي العظيم ،أمّن السبل وغل أيدي4العتدين وارهب العمال (عرفت تونس في عهده أوج ازدهارها).

-السياسة الانانية التي اتصف بهاالاستعمار والفوضى السياسية التي حلت بالبلاد التونسية والضغط الاوروبي العنيف على البلاد التونسية والدخول في عملية تفتت داخلية طويلة أفضت بها إلى السيادة سنة 1881 م.[2]

ومن العوامل التي هيأت تونس للدخول في الأزمة السياسية نذكر منها:

الاحتلال العسكري الفرنسي للجزائر سنة 1830كان له أثر فعال على تونس ،ضمن خلالها فكرت فرنسا من اجل تطويق الجزائر من كل الجهات ولا يتم ذلك الا بالتوسع شرقا الى تونس وغربا الى مراكش ،ولكن فرنسا لمتكن قادرة في تلك الفترة على احتلال تلك الشعوب دفعة واحدة[3] فتظاهرت فرنسا لتونس بالصداقة البريئة ،كما أن الباي تعامل كذلك مع فرنسا بذلك الود رغم احتلالها للجزائر ،ومن خلال ذلك عملت فرنسا على دعم نفوذها في تونس عن طريق قناصل ورجال أعمال مثل القنصل **ليون روش (lèon roches)**[4](احتفاظ فرنسي بأولية نفوذ سياسي و اقتصادي بتونس)ومن ابرز البايات الذين هيئوا الجو للتدخلات الاجنبية كالآتي :أ/ **أحمد باي (1827/1855)**[5]:حرص على ادخال اصلاحات في

---

[1]**حمودة باشا** :ولد في 8 ديسمبر1759م -1173هـ (محمد حمودة باشا) من أم جارية اسمها محبوبة تزوجها أبوه في الجزائر واعتنى أبوه بتربيته هناك ، فقرأ ما تيسر من القرآن ،وقد بويع للحكم في حياة والده سنة سنة1777 ؛ **ينظر**: أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1999،م2 ،ج3 ، ص 11.

[2] أحمد بن أبي الضياف، نفسه ،ص 4

[3]يونس درمونة، تونس بين الحماية و الاحتلال ،مكتبة تونس الحرة ،تونس ،(د، ت) ،ص 7.

[4]**ليون روش (1809- 1901)** : ولد بمدينة غرونوبل بفرنسا ،1832 التحقق بالجزائر وبدأ المغامرة فيها ،وقد ساعدته معرفته للغة العربية على فهم ذهن وعادات العرب مما أهله أن يصبح مندوب وقنصل فرنسي ،وبدأ عمله في تونس 1855 بالوقوف ضد المحاولات البريطانية للسيطرة على الأمور الداخلية ؛**ينظر** :ناهد ابراهيم الدسوقي ، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،ط1 ، دار المعرفة الاسكندرية كلية الأداب،2011، ص232 .

[5]**أحمد باي** :من أسرة كرغلية من باي قسنطينة ،تولى حكم بايلك قسنطينة، **ينظر**:بو عزة بوضرساية،الحاج أحمد باي رجل دولة و مقاوم 1826-1948 ،رسالة ماجيستر ،إشراف جمال قنان ،جامعة الجزائر، 1990، ص34.

جميع النواحي،بعد زيارة لأوروبا 1846سعى للعمل على التقدم ومن بينها تنظيم جيش وإدخال أساليب حديثة[1]وانشاء مدرسة حربية بباردو[2] ودعا الضباط الفرنسيين ليعملوا أساتذة بها وأنشأ مصنعا حربيا. [3]

-قام بتشجيع العلم وحاول بناء قصر مشابه لقصر فرساي ألا وهو قصر المحمدية قرب مدينة تونس وقد أدى هذا الترف لوقوع تونس في أزمة مالية ودفعها لطلب المساعدة وطلبالإستدانة من فرنسا .

ب/محمد باي الثاني(1855/1859):آلت وراثة العرش الحسيني بعد وفاة أحمد باي لمحمد باي ،فسار على نهج سلفه وأدى هذا الأمر للتدخل الفرنسي[4]،أكثر ما يميزكذلك فترة حكمه صدور عهد الأمان 10سيتمبر 1857.وكان ذلك بعد إلحاح القناصل الأجانب[5] وقد نص هذا العهد على الحرية والمساواة بين السكان على اختلاف أجناسهم ودياناتهم في الملكية والتجارة والتنقل أمام القانون .

ج / محمد الصادق باي (1859-1883) : ورث الحكم في ديسمبر 1859، وجمع العديد من المؤرخين على أن محمد باي كان منذ البداية عاقدا النية على الإصلاح ، لكنه وقع فريسة أهواء ووزرائه (مثل خزندار)، الذي كان يهدف لجمع أموال لنفسه مما سبب عجز ميزانية الدولة ودفع الباي لاقتراض من الدول الأجنبية ولتحقيق الإصلاح عمل محمد الصادق باي على مد خط بين تونس و أوروبا عن طريق الجزائر. [6] -عمل

على اصلاحات مثل دستور 1861 وذلك من أجل وضع اسس عهد الأمان الذي للحد من سلطة الحكم المطلق ولتوفير الأمن و الاستقرار في الأرواح و الأموال لفترة قصيرة (1861-1864) وأيضا عمل على منح الأجانب نفس الحرية التي تمتع بها المواطنون[7] ورفع الضرائب الشخصية فتسبب في ثورة 1864 م.[8] وفي هذه الأثناء عاشت تونس مرحلة خراب ودمار و فوضى بالتعطيل الدستوري ودخول

---

[1]الحبيب ثامر ، هذه تونس ،مطبعة الرسالة ، مكتب المغرب العربي ، القاهرة ، (د. ت) ، ص ص 22 23 .

[2]**باردو**: مدينة غربي تونس العاصمة تظم حاليا مجلس النواب ومتحف باردو الشهير كانت سابقا مركز الحكم إبان عهد الدولة الحسينية (1705-1956)؛**بنظر** :عبد الله العلايلي وآخرون :المنجد في اللغة والأعلام جزء الاعلام ،دار المشرق ، ط29، بيروت ،لبنان، (د، ت)، ص 101 .

[3]اسماعيل أحمد ياغي ؛ محمود شاكر، تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ، ط1 ،دار المزيج ، الرياض السعودية ، (د، ت) ، ج2،ص 94 .

[4]جمال بيضون ؛ شهادة الناطور علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث ،ط1 ،دار الامل للنشر والتوزيع ،(د .ب)،1992، ص110.

[5]الشيباني بلغيت،الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882) ، تق : عبد الجليل التميمي ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة صفاقس ،تونس ،نوفمبر 1995، ص 60.

[6]طاهر عبد الله ،الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1830-1956) ،دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ،تونس ، 1975، ص ص 21 22.

[7]الشيباني بنبلغيت ،بحوث ودراسات في تاريخ تونسالحديث و المعاصر ،ط2 ،الأطلسية للنشر ،تونس ، جانفي 2007، ص 68 -212.

[8]الهادي البكوش، شهادات على الاستعمار والمقاومة في تونس والجزائر والمغرب ،موقم للنشر ،الجزائر ،2013،ص 70.

البلاد في حرب أهلية تسببت في أمراض 1867 وكانت ذريعة ملائمة للتدخل الأجنبي ، وتولى الإشراف عليها "اللجنة المالية الدولية . [1]

الفوضى الداخلية التي تميزت بها أوضاع تونس من الناحية السياسية والإدارية في كل مكان ، وليس من يحاسب أو يعاقب حيث أن بايات تونس أنفسهم كانوا من أكبر المشجعين على هذه الفوضى بسلوكهم السياسي والإداري أما الشيئ الأخر فيتمثل في الشلل الذي أصيب به الباي التونسي [2] ، ويصف أحمد أمين الحالة السياسية في تونس عند قدوم خير الدين فيقول :« **وأما إدارة البلاد ففوضى أي فوضى ،الحاكم حاكم بأمره ، وأحب الناس إليه من يجمع له المال من حله وحرامه ،ولاحظ في دخل ولا خروج ، والعدل والظلم متروكان للمصادفات ، فإن تولى بعض الامور عادل عدل ، وكأن العدل مؤقتا بحياته وقلما يكون ، ونظام القظاء والجيش والإدارة والضرائب وجباية المال وإتفاقه على النمط العتيق البالي ، وكثيرمن الأمور تنفذ بالأمور الشفوية لا مرجع لها ولا يمكن الحساب عليها** »[3]

تأزم الأحوال السياسية بعد سيطرة الوزير الأكبر **مصطفى خزندار**[4]على الدولة،الذي إستطاع أن يكون الحاكم بأمره في البلاد[5] وقد أتيح له التخلص – في سير بدون عناء من المعارضة التي التي كان يتلقاها من حوله في باردو طبيعة الحكم الفردي الذي اتسم به بايات تونس[6] أي الباي كان

---

[1]**اللجنة المالية الدولية** : أحدثت بمقتضى الأمر في 4 أفريل 1868 ،تولت مهامها في 5 جويلية 1869، ومهمتها حصر الديون التونسية ، والعمل على تسديدها وقد ترأسها خير الدين ؛ **ينظر** : عبد المجيد بلهادي، تونس الهيمنة الإقتصادية زمن الإستعمار ، المعهد المالي لتاريخ تونس المعاصر ، تونس ،2016 ،ص 170.

[2]سمير أبو حمدان ، خير الدين التونسي أبو النهضة ،موسوعة عصر النهضة ، الشركة العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع –مكتبة المدرسة ،دار الكتاب العالمي ،بيروت ، لبنان ، 1413/1993، ص 19.

[3]أحمد أمين ،المرجع السابق ، ص150.

[4]**مصطفى خزندار** :يوناني الأصل والولادة سنة1817 (ولد) ، بيع صغيرا في أسواق استانبول مع أخ له ،ثم بيع مرة ثانية إلى بايات تونس ،تربى في قصور الأسرة الحسينية الحاكمة في تونس ،تعلم الإسلام علوم الدين صحبة أحمد باي ...

؛**ينظر**:الشيبانيبلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1882–1859) المرجع السابق ،ص 68 . وللمزيد : **ينظر** :محمد بيرم الخامس ، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، تح علي بن الطاهر الشنوفي، ط2 ، بيت الحكمة، تونس ،1999 ، م2 ،ص 453.

[5]جان غانباج ، ثورة علي بن غداهم 1864 ، تر لجنة من كتابة الشؤون الثقافية ،ط 2 ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، تونس، 1965. ص12.

[6]عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1871–1816) ،تونس .الجزائر .ليبيا ،تق :روبارمنتران ، ط1 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1972 ، ص 20.

يعتبر حاكما مطلقا ويعتبر مشروعا للدولة وحتى في شؤون الشريعة التي يستند في قراءاته إلى الفتوى من شيخ الاسلام ،كما كان رئيسا للسلطة التنفيذية ويستند الى عدد من الوزراء وكانت تونس تعيش في أوضاع تشبه إلى حد بعيد ظم الإقطاع التي سادت أوروبا في العصور الوسطى ولم تكن هناك رقابة على السلطة التنفيذية[1] فنجد ابن أبي الضياف يقول على لسان الباي :«**والعادة أن الدولة التونسية تبعث شؤونا حربية لإعانة الدولة العلية إذا كان لها حرب...إن لدولة العلية لها حقوق علينا باعتبار العادة ،منها ان نوجه مراكبنا لاعانة أسطولها إذا وقع لها حرب ،...بأن نوجه عسكرا سائر مايلزمه من الأخبية والمهمات ،ونقوم بما يلزمه في مدة وجيهة،ونبعث ماعندنا من مراكب**»[2]وإذا حدثمشكل دولي في تونس تدخلت الدولة العثمانية لفض النزاع ،وأرسلت مندوبا من قبلها ليشرف على الحل ، أما فيماعدا هذا فولاية تونس شبه مستقلة والباي حر التصرف.[3]

1/ اشتداد التنافس الاستعماري على تونس منذ انعقاد المؤتمرات الاوروبية(مؤتمر برلين الأول 1878، الثاني1884-1885) المناهضة للقرصنة تزامنا مع مرحلة ضعفها وتقهقرها .[4]

2/شعرت تونس في هذه المرحلة من الضعف والتقهقر بضرورة الاصلاح وجدت ان هذه العملية تستكلفها الاموال و النفقات ،وان هذه الاموال ستعمل على زيادة نفوذ الاجانب في البلاد وبدأت في التطور وعملت على الاصلاح وادى ذلك بالتالي الى خضوعها للنفوذ الاجنبي.[5]

لقدشهد الوضع السياسي في تونس بين 1827-1883م ثلاث بايات قاموا بإصلاحات واسعة وهم أحمد باي (1827-1855)ومحمد باي (1855-1859)ومحمد الصادق باي (1859-1883)وفي الفترة نفسها أوزر ثلاثة رجال لؤلاءالبايات هم خزندار (1840-1873)وخيرالدين(1873-1877)ومصطفى بن إسماعيل (1878-1883).

---

[1]جلال يحي ، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ،كلية العلوم الإنسانية -جامعة أسيوط ،دار المعارف ، مصر ،1965،ص 242.

[2]ابن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،م2 ،ج4 ،ص 156 .

[3]أحمد أمين ، المرجع السابق ص150.

[4]عبد الله مقلاتي ، المرجع في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر (الجزائر -تونس-المغرب -ليبيا)، ديوانالمطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 2013 ،ص 67.

[5]جلال يحي ، المرجع السابق ،ص ص 242 243 .

ومن أهم ماصدر في هذه الفترة عهد الأمان في سنة 1857،وكذلك دستور1861م ولكن ما تعاقب عنها هو ارتفاع**المجبى**[1] والتي كان لها سبب في ثورة بزعامة علي بن غداهم 1864ثم الازمة المالية 1868والتداخلات الاجنبية. [2]

وعلى العموم فإن اوضاع تونس قبيل الحماية الفرنسية اتسمت بالفوضى في كل مكان .

[1] **المجبى** :هي ضريبة شخصية أقرها محمد باي سنة 1856 ،وهي تسلط على السكان جنس ذكر البالغين باستثناء أهل تونس والقيروان ،وكانت ضريبة ثقيلة جدا على الأهالي ،**ينظر** : خليفة الشاطر و آخرون ، تونس عبر التاريخ المرجع السابق ،ج 3 ، ص 11.

[2] نيقولا زيادة ، تونس في عهد الحماية ، الاهلية للنشر و التوزيع .(د .ب) ،(د. ت) ، ج 8 ، ص 27.

2- الأحوال الاقتصادية

نتج عن تأزم الاوضاع السياسية داخل الأسرة الحسينية تدهور إقتصاد الإيالة التونسية ، وذلك راجع لأسباب داخلية وهي نهب أموال البلاد ، ضعف بايات تونس...، هذا من جهة ومن جهة أخرى لأسباب خارجية محظة تمثلت في :التنافسات الإستعمارية الفرنسية بدرجة أكبر وإيطالية بدرجة أقل ...وبالتالي أصبحت محل أطماع ونفوذ إستعماري أجنبي بغية الحصول على تونس لصالح إحدى الأطراف المتنافسة ... الخ حسب ما يذكر سمير أبو حمدان تدهور الصناعة في تونس وقتذاك نظرا للمنافسة الأوروبية. [1]

أ- **الصناعة** :إشتهر المجتمع التونسي في منتصف القرن 19م لصناعات تقليدية مثل صناعة الأصواف والنسيج والأبسطة و الأغطية التي كان يمارسها الألاف من الصناع اليدويين[2] بالإضافة إلى صناعة و النساء و مناديل الحرير التي إستعملتها المرأة التونسية لتغطية راسهاإعتمدت صناعة النسيج مصدر أساسي لهم وعماد الإقتصاد التونسي رغم أن صناعته بآلات تقليدية (قديمة) ،لكن لقيت منافسة قوية.[3]ومن بين الصناعات الأخرى في تونس نجد ،الصناعة الفخارية والتي وفرت لقبائل السباسب العليا ، و النحايس والقطاع ،و الصناعة النجارة من مشارب ومثارد و أدوات حراثة و البناية [4] ،فكلها كانت عبارة عن نشاطات تقليدية ذات صبغة صناعية بدائية على الرغم من تنوع المنتوج التونسي إلا أنه ضيق الخناق عليها وتراجعت صناعة الشاشية[5]بالبلاد التونسية .

ب-التجارة : خلال القرن 19 تعرضت التجارة التونسية لعدة أزمات نتيجة لضعف المنتوجات التقليدية ،إضافة لكثرة الضرائب والجبايات والمنافسات الأوروبية والتعامل بالربا بالنسبة للمال ،كما عدت مدينة

---

[1] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ص 18 .

[2] عبد العزيز الثعالبي ، تونس الشهيدة ،ترقيم وتقديم سامي الجندي ،ط1 ، دار القدس ، لبنان ، 1975 ، ص 91؛للمزيد ينظر : رزيقة محمدي، الإصلاحات الإقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا(1814/1782)، مكتبة التاريخ العثماني مجلة كلية التربية الإنسانية للعلوم التربوية و الإنسانية، جامعة الجزائر ٢، ع30،كانون الاول، 2016م،ص صص 88 9092 .

[3] سمير أبو حمدان ، نفسه ،ص 19.

[4] إدريس رائسي، القبائل الحدودية التونسية –الجزائرية بين الإجارة والإغارة ،ط1 ،المتوسطة للنشر ،تونس ،2016، ص 148.

[5] علي المحجوبي، المرجع السابق ، ص19؛ للمزيد **ينظر**:الملحق رقم (2)صناعة الشاشية بالبلاد التونسية .

صفاقس المدينة المتاجرة بامتياز في القطر .[1] تميزت التجارة الخارجيةباستحواذ فئة من اليهود التجار الأوروبيين [2]عليها فعرفت تجارة العبور النشيطة التي خصت البضاعات الإسبانية والشرقية وغيرها ولقد تصدرت تجارة الحبوبصادرات البلاد وبيع زيت الزيتون و الصوف.وعلى إثر التدخلات الأجنبية سعت الدول الاوروبية على احتكار التجارة الخارجية والداخلية لتونس فتمكن هؤلاء التجار من إقتناء منتوجات تونسية بأسعار معقولة وتسويقها بأسعار باهضة وبذلك عرفت تونس إنحطاطا في أسعار الحبوب والمنتوج المحلي هذا ما جعل تونس تستورد أكثر مما تصدر (يعني الواردات أثر من الصادرات الذي دل على ضعف تجاري في تلك الحقبة) .

إن إزديادالإمتيازات الفرنسية في تونس بصورة كبيرة وبعض المصالح الإيطالية ،فكلتا الدولتين طمعت في الإستيلاء على تونس ، وتورط التونسيين في علاقاتهم المالية بهؤلاء الأجانب واستعانوا بشركاتهم الأجنبية في مشروعاتهم وتمهدت الطريق أمام المستعمر لتحقيق أطماعهم،[3]و إزداد نشاط الجاليات الأجنبية ،و شرع البايات في إستقدام الخبراء الأجانب ومنحهم عدد من الإمتيازات للقيام بمشاريع مختلفة ، ماجعل القناصل الفرنسيين يتدخلون لحماية مصالحهم.[4]

جـ-الزراعة :إعتمد الاقتصاد التونسي قبيل الحماية على الزراعة لخصوبة أراضيها حيث كان عدد سكان الأراضي الزاعية 27000 فلاحا تجاوزوا سن البلوغ [5]، فتنوعت المحاصيل الزراعية وكل منطقة إختصت في إنتاج نوع من المحاصيل حيث إشتهرت مدينة قفصة بزراعة الفستق :أما مدينة الكاف[6] ، وباجة فاشتهرت بانتاج الحبوب لاسيما القمح أما عن بنزرت فاشتهرت بانتاج الزيتون .

---

[1]عبد الجليل التميمي و آخرون ، الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية و التوثيق و المعلومات ، رغوان –تونس ، 1988، ص 383 .

[2]**ينظر**: (لملحق3)استحواذ فئة اليهود والتجار الأوربيون على التجارة بتونس.

[3]إسماعيل أحمد ياغي ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط 1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض –السعودية ، 1997 ، ص 140.

[4]جمعة عليوي؛ فرحات الخفاجي ؛ وسام هادي عكار عظيم :«السياسة الفرنسية حيال تونس (1881-1914)»مجلة الأستاذ :م1 ،ع 214 ،جامعة بغداد ،كلية التربية ،إبن رشد للعلوم الإنسانية ،1436 هـ/ 2015 ، ص 265.

[5]عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق ، ص 89 .

[6]**الكاف** : مدينة تونسية تقع بمنطقة التل العالي على مسافة 30 كم على الحدود الجزائرية ،**ينظر** :محمد طالبي ، دائرة المعارف التونسية تاريخ إفريقيا أعلام ، مواقع .قضايا ، عدد خاص ، بيت الحكمة ، تونس ،1988 ، ص 163.

فكانت الأراضي قبيل الحماية بأيادي أقلية من مقربي الباي أغلبهم من المماليك جلهم يعيشون في الحاضرة ويأجرون أراضيهم لمزارعين من بينهم فئة الخماسين ،المستغلون في مجال الفلاحة[1] ، أما تربية المواشي متعلقة بحركة الأراضي حيث أن الفلاح التونسي هو أول مربي للماشية وكان يترك نصف أرضه مراعي للقطعان فقد كان من أهم موارد البلاد.

لجوء الإيالة كذلك إلى الإستدانة من السوق العالمية بواسطة إرلنجيerlanger المغامر في الأمور المالية وشريك الوزير الأول مصطفى خنزدار أكبر صانع للقروض التونسية، [1] التي لم تكن تعود بالفائدة إلا على المقرضين و الوسطاء ومزودي الحكومة ، فسارع بالإيالة إلى هاوية الإفلاس ، ،حيث قدرت ديون البلاد التونسية آنذاك ب125000000(مائةوخمسة وعشرون مليون فرنك)،ووقع تقسيم مداخيل الإيالة الى قسمين (هيئتين):

–اللجنة التنفيذية : متألفة من ثلاثة أعضاء وكان يرأسها الوزير الأكبر ،يساعده عضو تونسي ومتفقد مالية فرنسي يعينه الباي وهي مكلفةبجباية الضرائب المخصصة لتسديد الديون.

لجنة المراقبة : تتألف من ستة أعضاء منتخبين (معينين) يمثلون مقرضي الحكومة التونسية موزعون بالتساوي (فرنسا –إنجلترا –إيطاليا) تقوم هذه الأخيرة بمراقبة كل العمليات التي تقوم بها اللجنة التنفيذية و التثبت فيها و المصادقة عليها إن إقتضى الامر كل ذلك في عهد محمد الصادق باي.[2]

وبهذا إرتكزالاقتصاد بصفة عامة على العناصر الأساسية والمتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة ، وأضاف أحمد أمين في كتابه زعماء الإصلاح في العصر الحديث : قائلا : «وكان مما أضعف التجارة التونسية سواء أدوات النقل وفساد الطرق ،فمنهم ي نقلون غلاتهم على الإبل و الخيل و البغال ،ونوع من العربات البدائية ،و تنقل القبائل القبائلالبدوية غلاتها في القوافل ، فاذا كان

[1] علي المحجوبي ، المرجع السابق ، ص 18 .

[2] قدادرة شايب ، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934–1954) ، دراس مقارنة ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ وعلم الآثار للدراسات العليا ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة منتوري –قسنطينة ،2007–2008 ، ص 31.

الشتاء وأمطرت تشعثت الطرق وتعطلت الحركة »ناهيك عن الفقر والخراب وإختلال الميزان التجاري .[1]

ومما سبق ذكرهبامكاننا القول ان سبب الازمة الاقتصادية في تونس هو سوء تصرف البايات التونسيين و لجوئهم إلى الإستدانة من الدول الأوروبية ، الذي ألحق الضرر بالشعب ،وهذا ما أثر على تأزم الوضعية الإجتماعية وحتى الثقافية في البلاد بسبب إثقال كاهل الرعية بالضرائب .

3-الأحوال الاجتماعية والثقافية :

يعد تقهقر إقتصاد بلد ما بطريقة مباشرة يؤدي إلى تدهور الحالة الإجتماعية وينعكس ذلك أيضا على الحالة الثقافية للسكان ، وهذا ما عانا منه الرعايا التونسيين في بلادهم خلال القرن 19 فما ميز تلك الأوضاع .

أ/الوضع الإجتماعي :

-**تركيبة المجتمع التونسي** :يتكون المجتمع التونسي من جماعات وعناصر مختلفة ، ويمكن تقسيمهم على حسب مكان استقرارهم كالآتي :

***السكان المستقرون (المدن)** : وكانوا هم أكثر سكان قطنوا جهة تونس وسهول مجردة والساحل و الواحات ومن اهم فئاتها (البدو و البربر و الأتراك و المماليك و **الزنوج**[2]، إضافة إلى اليهود و الأندلسيونوالأوروبيون فالأتراكتركزوا في العاصمة ،وطائفة الأعلاج كذلك المكونة من عناصر أوروبية مسيحية وأيضا فئة الكراغلة وهم المولدون من آباء أتراك وأمهات تونسيات ،والحضر التي ضمت عناصر من القطر التونسي إضافة للوافدين من فئةالأندلسيون.[3]

---

[1]أحمد أمين ، المرجع السابق ص ص 149 -150 .

[2]**الزنوج** :ترجع الاصول السكانية للعبيد «الزنوج »في فترة الدولة العباسية إلى إفريقيا الشرقية ،حيث كانت منطقة زنجيار التي اشتقت منها الكلمة العربية (زنج) هي الممول الرئيسي للخلافة العباسية بالعبيد ؛ للمزيد **أنظر** :أحمد علبي ، ثورة الزنج ، مكتبة الحياة ، بيروت -لبنان ،1961 ،ص 75.

[3]علي المحجوبي ، المرجع السابق ، ص 15 .

أما فئة اليهود توافدت بأعداد كبيرة من يهود إسبانيا أما البرانية قدموا من الأرياف الداخلية إلى المدن للإقامة والعمل بالإضافة فقد كانت الجالية الأوروبية أساسا من تجار ورجال مسيحيين وقناصل ورحالة . [1]

***السكان الرحل (الريف)** :وهم السكان دائموا التنقل والترحال من سهول مجردة للحدود الليبية ،إنقسموا إلى قبائل في الشمال وهما صنفين متعاديين (الحسينية والباشية) وقبائل في الجنوب وهما (شداد و يوسن) ويتمثل السكان الرحل في عشائر المخزن وجماعات الرعية كأجراء وخماسين ، إضافة إلى القبائل البعيدة عن نفوذ الحكام وهي التي تكون في أماكن نائية مثل قبائل الخمير[2] ، وطبقة العبيد

ب- الأوضاع الصحية للمجتمع التونسي :

على إثر تردي الوضع الإقتصادي عرف المجتمع التونسي أزمات عدة إنعكست على السكان شهدت الإيالة حالة تأزم عاشتها السكان لأسباب جبائية (زيادة الضرائب) ،مما أدى لإندلاع ثورات إجتماعية في البلاد ، فسارت الحركة الى التعاظم التي بلغت ذروتها سنة 1864 ، وهي سنة ثروة علي بن غداهم [3] التي أشعلت البلاد بتامها .

إنتشار مجاعة متوالية فقد عملوا في سنة 1865على ان يسلبوا التونسيين كل أسباب رزقهم و القمح و زيادة على ذلك تحميلهم مغارم فادحة طمعا في المال وظنا منهم أن الفقر المدقع سيصدهم عن العصيان والثورة إضافة إلى كل هذه الأوبئة من كوليرة 1850-1849والطاعون

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولاية المغرب العثمانية ،جامعة الكويت ،2010، ص 54.

[2] **قبائل الخمير** :ممتدة على ساحل البحر المتوسط بالشمال العربي من البلاد التونسية ،وهي جزء من ولاية جندوبة ، ذات طابع جبلي كانت المنطقة مقدمة إنتصاب الحماية الفرنسية على تونس 1881 ،وذلك بسبب نهب سكان المنطقة أملاك أهالي الجزائر المجاورة ؛ **ينظر** :شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا –تونس – الجزائر –المغرب) ،ط1 ،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،1977، ص 307.

[3] **علي بن غداهم** :من قبيلة ماجر تلقى تعليمة بالجامع الزيتونة ولقي تأييدمن طرف الطريقة التيجانية ،وأطلقت قبيلة ماجر اسم الباي شعب على علي بن غداهم ،وامتداد نفوذهم لقبائل مجاورة حتى صار الزعيم الأعلى للثورة (ثورة علي بن غداهم) التي كان من أسبابها رفع الضرائب بالإصلاحات المتأثرة بالتطور الأوروبي التي أدخلت على البلاد؛**ينظر**:جان غانباج،المرجع السابق ، تونس، 1965، ص 20.

1818–1819م وغيرها من الأمراض العفنة[1]،وكل هذه الأوبئة كانت دليل على فداحة الخسائر البشرية التي تسبب فيها الوباء الذي دام قرابة 8اشهر من ديسمبر1849م إلى أوت 1850م[2] ونجد إبن أبي الضياف يصف مرض الكوليرا قائلا:«**ظهر في المملكة التونسية مرض وبائي يعبر عنه في أرض الحجاز بالريح الأصفر ،وأصله من أمراض الهند ،وعبر عنه في بلادنا بالكوليرا وصورته والعياذب بالله أن يصيب الانسان إسهال وقيئ،فيصفر لونه ،ويسود ويموت في ساعات أو قليل من الايام ،قل من ينجو ...**».

الوضع الثقافي :

تميز الوضع الثقافي قبل التدخلات الأجنبية وقبل فرض الحماية بازدهار نسبيوكانت تونس مركز ثقافة وحضارة حيث أنها استقبلت الطلبة من أطراف العالم الاسلامي للتزود من منهلها المعرفي وقد كونت العديد من الناقدين ومن أهمهم الناقد التاريخي ابن خلدون[3] والفقه ابن عرفة في الإيالة ومنذ التداخلات الاجنبية كانت الحياة الفكرية والثقافية مختلفة تماما في ظل حكم البايات الاتراك الذين لم يولوا أي عناية لتعليم الشعب وتثقيفهم ،فقد كانت المدارس الموجودة لاتعد أن تكون مدارس دينية فقط أهمها **جامع الزيتونة**[4]،بتونس الذي لقن فيه دروس الدين والفقه والنحو والصرف[5] وعلى الرغم من مجهودات البايات في هذاالمجال إلا أنهم لم يحققوا هدفهم فقد رفض المجتمع التونسي هذا المنهاج التعليمي الجديد واتهموهم بالزندقة فكانت الأمية هي الغالبة على معظم التونسيين قبيل الحماية 1881. [6]

---

[1]أحمد عبد السلام ، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية ،ط1 ، الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 1987 م –1407هـ، ص 18.

[2]إدريس رائسي ، المرجع السابق ، ص 135.

[3]عبد العزيز الثعالبي ، المصدر السابق ، ص 53 .

[4]**جامع الزيتونة** : من أهم المؤسسات العربية الإسلامية مكانة في تونس ،بل هو أقدم وأشهر المساجد ، كان فضاء للتعليم وتلقي دروس العلمية باختلاف أنواعها و مواضيعها ؛**ينظر** :حبيب حسن اللولب ، الطلبة الجزائريون جامع الزيتونة وفروعه (1876–1962) التحديات والرهانات ،الحوار المتوسطي تونس ، 2017 ،ج 1 ، ص 216 .

[5]حمة الهمامي ، المجتمع التونسي دراسة إقتصاديةإجتماعية ،ط1، صيامد ،صفاقس ،(د.ت) ، ص ص 22–23.

[6]محمد بن خوجة ، المصدر السابق، ص 313.

كما شهدت تونس خلال هذه الفترة النصف الثاني من القرن 19م) احتكاكا متواترا مع أوروبا أثر على عدة مستويات ،وخاصة عندما عرفت المنطقة إنتصاب الحماية الفرنسية على البلاد التونسية سنة1881،وخاصة الوضعية الإجتماعية.

وتصور لنا كتب الرحالة حالة البلاد التونسية آنذاك [1]1845:«إن البلاد التونسية في حالة يرثى لها من التعاسة بسبب التكالب الجنوبي للباي على تجهيز جيش عظيم على النمط الفرنسي ، هناك قرى بأسرها غدت خالية من أهلها ، وحقول تنتج التبغ أضحت جدباء منذ أن صار المحصول يخضع لقانون الاحتكار،وهناك مراسي لا يستهان بها شلت حركتها زد على ذلك الضعف والانحطاط و إنتشار الترف (الخدم الحشم والجواري)»[2]

من خلال ما تم التطرق إليه يبدو جليا أن الحياة الاجتماعية للإيالة عرفت طبقية واضحة وامتزاج سكاني ،وهذا ما ولد المجاعة والفقر المدقع بسبب جور البايات وسياستهم في تكليف الأهالي التونسيين بالضرائب اعتقادا منهم انها ستكون لفائدة خزينة الدولة وهذا ما نتج عنه تأزم الاوضاع الاجتماعية وحتى الثقافية نظرا لإهمال الجانب التعليمي وعليه يمكن القول أنه لولا إنتشار المفاسد السياسية بالدرجة الاولى لما تراجعت الحالة الاقتصادية والاجتماعية للسكان التونسيين ولما انتشر التخلف والفوضى والإنحطاط .

1- مميزات القرن 19م :

مع أوائل القرن 19 كانت تونس تنعم على غرار الولايات العربية البعيدة من السلطنة ، شبه استقلال مكن الباي التونسي (وهو لقب يعادل الخديوي فيمصر) من معالجة شؤون بلاده وحسب ما تمليه عليه مصالحه واعتباراته غير أن ذلك الوضع إنقلب رئسا على عقب منذ احتلال فرنسا للجزائر1830فأصبحت تونس مركز تجاذب بين قوتين أساسيتين أوروبا من جهة ،ممثلة في فرنسا والسلطنة العثمانية من جهة أخرى فما ميز القرن19 ؟

[1] محمد بن خوجة ، المصدر السابق، ص 313.

[2] مجموعة الباحثين ، المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعين ، تنسيق :الهادي التيمومي ،ط 1 ، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، «بيت الحكمة »، بحوث ودراسات تاريخ تونس ،1999، ص صص 379-381-382.

ما كاد القرن 19م يتوسط عقوده ،كانت دول أوروبا الغربية قد خطت خطوات هامة في مجال الإختراع والتقدم الميكانيكي والازدهار العمراني ،مما جعلها تسعى لإكتشاف الأسواق لترويج بضائعها بحثا عن المواد الأولية لتموين مصانعها والسعي لبسط نفوذها السياسي والإقتصادي على الدول العربية الإسلامية عامة وتونس خاصة أما على الصعيد السياسي ،كانت العديد من دول أوروبا تعتمد على مبادئ وأفكار الثورة الفرنسية كأسس في نظم الحكم . [1]

تميز كذلك القرن 19م بأحداث مهمة ألا وهي تراجع مشاريع الاصلاح و التحديث في تونس التي كان قد باشرها منذ منتصف القرن الماضي حمودة باشا الحسيني وتجددت مع الباي أحمد في السنوات الممتدة من1838حتى 1855ولعله لايغيب عن بالنا في هذه السنوات 18تبلورت أفكار الاصلاح عند خير الدين بعد أن عرف قوانين وأنظمة أوروبا نتيجة للوضع الداخلي المهترئ حيث لا مؤسسات تنهض بالمجتمع ولا مشاريع تحديث . [2]

كذلك تميز القرن19بتونس بقيم الوحدتين الإيطالية والألمانيةمنها **حربالقرم**[3] سنة 1856والتنافس الشديد بين الدول الاوروبية على أملاك الدولة العثمانية وظهور حركات مناهضة للدولة منها حركة الشبان العثمانيون[4] وكذا مظاهر التغلغل والنفوذ الاجنبي في الدول العربية الاسلامية منها تونس ،وذلك راجع لضعف الدولة العثمانية التي أطلق عليها في ذلك الوقت باسم الرجل المريض[5] لم يختلف الوضع بتونس عن بقية البلدان الاسلامية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تجلت مظاهرها في دواليب الإيالة والحكم المطلق. [6]

---

[1] فريد حاجي ، الإصلاح و آليته عند إبن العنابي وخير الدين التونسي خلال القرن19، دار كرم الله للنشر والتوزيع،(د.ب)،(د.ت) ، ص 83.

[2] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص ص 20- 21.

[3] **حرب القرم** :قامت بين روسيا والدولة العثمانية في 23نوفمبر 1853 حتى سبتمبر 1856 ،وقد ساندت فرنسا وبريطانيا الدولة العثمانية في هذه الحرب بداية من 1854، لتنتهي هذه الحرب بهزيمة روسيا وتوقيع إتفاقية باريس 1856؛**ينظر**: محمد سهيل قطوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ط2 ، دار النفائس ،لبنان 1434هـ/2013م ، ص ص 390-395 ؛للمزيد حسين عبد. علي الطائي، روسيا وحرب القرم 1856/1853،مجلة العلوم الانسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج22،ع4،جامعة بابل، كانون الثاني،2015،ص135.

[4] فريد حاجي ، المرجع السابق ،ص84.

[5] جلال يحي ، المرجع السابق ،ص243.

[6] فريد حاجي، المرجع نفسه ، ص 84.

كما تميز القرن 19بانهيار المجتمعات العربية والاسلامية كما تميز أيضا بميلاد النهضة العربية الحديثة ولقد وصف أحد المؤرخين القرن 19م بأنه قرن التحولات العظمى (الثورة الفرنسية ،والثورة الصناعية بإنجلترا)فيقول كذلك أصبحت أوروبا في موقع المركز بين الحضارات الانسانية ووجدت الشعوب الاخرى نفسها مضطرة إلىإعادة ترتيب أوضاعها حسب هذا المعطى ،ومن مؤتمرات هذا القرن مؤتمر فيينا سنة1815الذي عقد ليعيد ضبط الاوضاع الاوروبية بعد فترة الاضطراب التي إفتتحتها الثورة الفرنسية سنة1789ثم واصلتها الحروب البونابرتية من مصر الى أوروبا.

ومع هزيمة بونابرت في واقعة واترلوا سنة 1815 رث الاسرة الملكية الى المطالبة باسترجاع سلطتها وعقد مؤتمر فيينا لهذا الغرض ليختار طريقا وسطا بين هذا النظام والافكار الراديكالية للثورة الفرنسية وكذا مؤتمر برلين سنة1878الذي أقر مبدأ إنفصال القوميات عن الامبراطورية العثمانية وبدأ معه تنافس الاوروبيين لمساندة هذه الحركات الانفصالية .وبذلك بدأت نهاية الرجل المريض[1] ولقد إصطدمت الامبراطورية منذ ثلاثينات القرن 19بالمشكلة **القومية**[2]ممثلة بالحركةالانفصالية اليونانية ،وساندت هذه الحركة كل القوى الاوروبية ،إنتهت الأزمة بهزيمة عسكرية وحضارية للدول الاسلامية في معركة نافارين الشهيرة سنة1827 .[3]

كما تميز هذا العصر كذلك ق19بظهور **الليبيرالية**[4] التي لم تكن تمثل آنذاك نظرية إقتصادية إقتصادية وحسب لقد كانت أيضا نظرية في السياسة والمعرفةوالدين كما تزامن مع ظهورها أبرز الاختراعات التقنية الحديثة مثل المركب البخاري سنة1807والمطبعة السريعة سنة1812و القاطرة

---

[1]محمد الحداد ، «لماذا يظل خير الدين معاصرا لنا ؟» : في خير الدين التونسي ، (واقع الندوة التي انتظمت ببيت الحكمة 4ماي 2010)، ط1 ،المجتمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون بيت الحكمة ، تونس ،2011 ، ص ص 92 –93 .

[2]**القومية** : هي نظام سياسي يتميز بتعزيز مصالح دولة معينة وخاصة بهدف كسب والحفاظ على الحكم الذاتي ، أو السيادة الكاملة ، على وطن الجماعة ... ؛**ينظر** : نقلا عن هامش فريد الحاجي ، المرجع السابق ، ص 86.

[3]محمد حداد ، المرجع السابق ، ص 93

[4]**الليبرالية** : هي الإيديولوجية الأولى و الأقوى في العالم الحديث ،تعتمد الحرية الفردية ،مأخوذة من أصل لاتيني تعني الدعوة إلى الحرية ، تحولت منذ العقود الأخيرة من القرن ال20م إلى نيو ليبرالية (ليبرالية حديثة) ؛ **ينظر** :شهريار زرشناس، اللبرالية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، ط1 ،2017 م –1439 هـ ،ص 9.

سنة 1814 والسكك الحديدية سنة1830والكهرباء سنة1831والتلغراف سنة 1837وآلة التصوير سنة 1839 والهاتف سنة 1861والسينما 1895 . [1]

2- فرض الحماية على تونس والمواقف الدولية منها

1/الحملة الفرنسية وفرض الحماية على تونس :

شهدت سنة1881م سقوط البلاد التونسية التي كانت تابعة للخلافة العثمانية تحت السيطرة الفرنسية، وتعود هذه الهزيمة فرنسا في حرب 1870م ضد ألمانيا وهزيمة الدولة العثمانية في جربها ضد روسيا 1877 ،فعند هزيمة فرنسا أمام ألمانيا ألحقت ألمانيا بمقاطعتي الالزاسواللورين ،ولصرف إنتباه فرنسا عن تلك المقاطعتين ألفت بير مارك نظر السياسة الفرنسية على تونس ، ونفس الشيء قامت به انجلترا فلم تبدي أي معارضة لفكرة غزو فرنسا لتونس مادامت تعمل على تشتيت أوضاع الدولة العثمانية والحاقها لجزيرة قبرص[2] ، فكيف فرضت الحماية الفرنسية على تونس؟

وقد أثيرت فكرة ضم تونس لفرنسا في كواليس **مؤتمربرلين**[3] المنعقد سنة1878. لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية ،فتحصلت فرنسا على رخصة غير رسمية[4]، من طرف ألمانيا بتصريح المستشار الألماني بسمارك4جانفي1879:«**أعتقد أن الاجاصة التونسية نضجت وحان قطفها إن هذه الثمرة الافريقية تفسد أو تفتك إن ابقيتموها طويلا في شجرتها**»[5] إضافة لتصريح وزير إنجلترا سازوري«**خذوا تونس إذا أردتم ،فإن بريطانيا لن تعارض في ذلك** ».[6]

وفي نفس الوقت اشتدت المنافسة الايطالية على تونس في غمرة هذه الاوضاع عملت فرنسا على الحصول ترضيه مع الدول المنافسة لها عن تونس سواء كانت إيطاليا أو إنجلترا أو غيرها من البلدان الأخرى المهتمة بتونس وتمكنت من عدة اتفاقيات عبر عدة مراحل تحقيق هدفها في تجسيد وإبعاد تونس

---

[1] محمد حداد ، المرجع نفسه ، ص 94 .

[2] يونس درمونة، المرجع السابق ، ص ص 17-18.

[3] – **مؤتمر برلين** : عقد في برلين عاصمة ألمانيا 1878 برئاسة بسمارك (سياسي ألماني من أهم العالمين لتوحيد ألمانيا)،يهدف لإعادة النظر في تقسيم ممتلكات الإيالة العثمانية ؛**ينظر** :عبد الوهاب كيالي، المرجع السابق ، ص 520.

[4] فلايد مير لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة ،ط8 ،1985 ،دار الفرابي ،بيروت –لبنان ،2007 ،ص 306.

[5] الهادي البكوش ، المرجع السابق ، ص 17.

[6] جلال يحي ، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1999 ، ص 322.

عن إهتمامها والذي يسمح لها بالتفرد بها [1] (هنا اتسمت ملامح الحماية) فأخذت تنتظر و تبحث عن إيجاد فرصة مناسبة لاتخاذها حجة لتنفيذ مخططها في فرض حمايتها على تونس[2]من خلال فكرة **جول فيري**[3] الذي أسند مشروعه لأحداث ومناوشات بين قبائل الحدود التونسية الجزائرية يومي 31/30مارس1881 ناهد الجزائرية والخمير التونسية الحجة المناسبة لفرنسا لتجعل منها مبررا مقنعا للرأي العام الفرنسي والدولي لتسيير جيشها نحو تونس [4](اتخذ تلك المناوشات البسيطة التي أحيانا ما حدثت على الحدود بين التونسيين والجزائريين ذريعة .)

وفي 12أفريل 1881تلقت القوات الفرنسية المقيمة بالجزائر أمرا باجتياز الحدود التونسية دون سابق إنذار لتأمين و استغلال الحدود ، ولهذه الغاية أرسلت جيشا في 24أفريل 1881م عبر الحدود التونسية طابوران الاول باتجاه العاصمة ،والثاني نحو الكاف في نفس الوقت الذي اقتحمت فيه بعض وحدات الاسطول الفرنسي ميناء بنزرت .وكان تعداد الكتيبة الفرنسية القادمة من الجزائر في24أفريل1881 ب35000 جندي بقيادة لجنرال **لوجيرو**.[5]

تم احتلال مدينة الكاف في 26أفريل 1881،تقدم في داخل التراب التونسي نحو الوسط والجنوب سوق الاربعاءفي 29أفريل،وعين دراهم يوم 11ماي ،وفي نفس الوقت قامت وحدة بحرية باحتلال طبرقة يوم 26أفريل بعد ان قصفتها بالقنابل، وفي 8ماي اتجهوا للعاصمة التونسية وحاصروا باردو حيث مقام الباي وذلك في12ماي1881م [6]، وهدد بتوقيع معاهدة من أجل إحتلال فرنسا لتونس،وفي الاخير إضطر إضطر محمد الصادق باي على توقيع معاهدة باردو 12ماي 1881م [7]،أو قصر السعيد، خاصة وأنه

---

[1]الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص 26.

[2]**الملحق رقم (4)**: نزول القوات الإحتلال الفرنسي بتونس (1883-1881)، خليفة الشاطر، ص 19.

[3]**جول فيري (1832.1893)**: رئيس وزراء فرنسا 1880م/1885م صاحب فكرة احتلال تونس ،وتأديب قبائل بني الخمير ؛ **ينظر** :محمد سلمان عصفور ، الحماية الفرنسية على تونس 1881والموقف العثماني والأوروبي منها ، مجلة ديالي، كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2012،ع 56، ص 5.

[4]الحبيب ثامر، المصدر نفسه ، ص 27.

[5]**الجنرال لوجيرو** :ولد عام 1825م بمدينة لواروشيم بوسط فرنسا ، قائد الفيلق الشرقي درس بالمدرسة العسكرية ،ورقي لكولونيل عام1870م شارك في الحملة على تونس؛ **ينظر**:رامي سيدي محمد ، المقاومات الشعبية في الجزائر وتونس (دراسة تاريخية مقارنة):أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية المغربية ،قسمالتاريخ كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان2016-2017م، ص 78.

[6]أمين شاكر ؛سعيد العريان ، مصطفى أمين ، شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر ،دارالمعارف ، مصر(د.ت)،ص99.

[7]ينظر الملحق رقم05

كان في حالة الرفض فقد كان أخوه الطيب مستعد لتوقيعها[1]، والتي نصت على إعتراف الباي باحتلال القوات الفرنسية بتونس أن تنظم فرنسا علاقات تونس الخارجية و حق الاشراف على الشؤون المالية[2]،كما نصت هذه المعاهدة على أن يكون الاحتلال الفرنسي لتونس إحتلالا مؤقتا يزول متى إتفقت السلطتان العسكريتان التونسية الفرنسية على أن الأمن استتب في البلاد التونسية.[3]

وبناء على هذه الاعتبارات استنبطت الحكومة الفرنسية صيغة جديدة لم يتم تحديدها بنصوص قانونية مضبوطة ذلك أن معاهدة قصر السعيد (باردو)المبرمة بين الحكومة الفرنسية وحكومة الباي لم تتعرض في أي فصل من فصولها الى **الحماية**[4]

بل أنها اعترفتاعترافا صريحا بسيادة الباي على البلاد ولكنها قيدت سلطته من الناحية المالية،حيث جاء في الفصل السابع من معاهدة الحماية مايلي«ستبقى دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها حق الاتفاق على وضع أساس لترتيب مالي بالعمالة ،للوفاء بخدمة الدين العمومي والتكفل دائمي العمالة.[5]

كما أصبحت الدولة الفرنسية تقوم مقام الباي في كل ما يتصل بعلاقاته مع الدول الاجنبية [6]،رغم ذلك فقد تابع جيش الاحتلال عملياته العسكرية بعد إبرام معاهدة 12ماي فاحتل مدينة ماطر 18ماي1881،ودخل الجنرال لوجيروlogerotمدينة باجة يوم20ماي1881. [7]

---

[1]خليفة الشاطر وآخرون ، المرجع السابق ص 23.

[2]رأفت الشيخ ، تاريخ العرب الحديث ،عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (د.ب)، 1996م .ص 141.

[3]أسماء قسطالي، النضال السياسي والنقابي في تونس 1946م –1956، مذكرة لنيل شهادة الماستر تخصص الظاهرة الإستعمارية في الوطن العربي ،قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجلالي ،بونعامة خميس مليانة ،2016–2017 ص ص 10–11.

[4]**الحماية** :هي أن البلاد تحتفظ بكل مؤسساتها وحكوماتها وتدار ذاتيا بأجهزتها الخاصة من جانب دولة أوروبية تحل محلها في التمثيل الخارجي وتتولى عادة إدارة جيشها ومالها ،وتوجه نموها الاقتصادي؛ **ينظر** :أحمد مالكي ، الحركات الوطنية و الإستعمار في المغرب العربي ،ط1 ،مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،يناير 1993 ،ص131.

[5]حمادي الساحلي، فصول في التاريخ و الحضارة ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،1992م. ص84 .

[6]المرجع نفسه ، ص 85.

[7]قدادرة شايب ، الحزب الدستوري –وحزب الشعب الجزائري ،المرجع السابق ، ص 48.

وفي ظل هذه الظروف تم إخضاع البلاد التونسية تحت الادارة الفرنسية تدريجيا وبعد وفاة محمد صادق باي لمتكتف فرنسا بمعاهدة باردو عرضت على الباي الجديد **علي باي**[1]إتفاقية المرسى التي عقدت في 8جوان1883[2]، وهي التي مكنت من بسط النفوذ الفعلي على البلاد التونسية وإدارة شؤون البلاد الداخلية وقد استعملت لفظة الحماية في هذه الاتفاقية لأول مرة بكل وضوح وكما أنها أشارت إلى عملية تسديد الديون وكذلك أصبحت السلطة الكاملة في يد المقيم العام وتصدر بتوقيع الباي . [3]

2/ المواقف الدولية من فرض الحماية على تونس :

إن الموقف من الحماية على تونس لدى الدولة العثمانية كان يتلخص في مناقشات وبرقيات بين الطرفين العثماني والفرنسي[4]، فبعد وصول برقية باي تونس إلى إسطنبول اجتمع مجلس الوزراء العثماني العثماني وقرر ضرورة التفاوض مع فرنسا وفي حالة رفضها يجب ضمان تأييد الدول الكبرى بحقوق الباب العالي بولاية تونس.[5]

وعليه استدعى عاصم باشا وزير الخارجية العثماني سفير دولته في باريس للعمل على مقابلة وزير الخارجية الفرنسي ومحادثته حول اقتراح التسوية التي تقدم بها الباب العالي ،الذي أبدى رغبته في التفاهم مع فرنسا و الاقتراح عليها القيام بالتحقيق حول الظروف التي ادت للاعتداءات[6] ، فالدولة العثمانية أخذت شمسها تغرب ومشاكلها في اوروبا الشرقية أربكتها وجعلتها ذات رأيين رغم أن تونس كانت تعتبر من الاقطار المهمة المكونة لإمبراطوريتها ،والتي اعتبر الحكم فيها تابعا للدولة العثمانية هكذا اذن صفت فرنسا مشاكلهاالدولية في احتلال تونس اثناء مؤتمر برلين و لم يبق امامها الا التنفيذ.

أما المواقف الدولية فقد اعتمدت فرنسا في احتلالها تونس على موافقة الدول الكبرى التي خشت أن يكون الاحتلال سببا في توتر قد يصل إلى صراع عسكري وقد كان القرن 19م ،عصر توترا يؤدي في كثير

---

[1] **علي باي** :من بايات الأسرة الحسينية بتونس ،نصب في 1882م شهد عهده توقيع المرسى ،توفي سنة 1888م ، ينظر ، محمد خوجة ، المصدر السابق ، ص 133.

[2] أنظر الملحق (6).

[3] طاعة سعد ، أزمة بنزرت الفرنسية 1961من خلال جريدة المجاهد الجزائرية ، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية و التاريخية، ع1 ،مج8،جوان2017 ، ص ص 88.89.

[4] يونس درمونة ،المرجع السابق ، ص 18.

[5] محمد عصفور سلمان ،المرجع السابق ،ص6 .

[6] المرجع نفسه ، ص 7.

من الأحيان إلى حروب ثنائية ولكنها لم تقم وزنا كبيرا للمعارضة الشعبية و بالأخص معارضة الجامعة الاسلامية التي تحركت ضد الاحتلال الفرنسي لتونس .[1]

بالنسبة **لإيطاليا** فأصيبت بخيبة أمل كبيرة للإعتداء الفرنسي و قررت عدم التصرف ،بمفردها في هذه المسألة التي تهم بقية الدول الكبيرة[2]،هذا لأنها كانت تخشى أن تلقى تونس نفس مصير الجزائر ،وكانت الجالية الإيطالية بتونس أكبر الجاليات الأجنبية وكانت مطامعهم في تونس واضحة .[3]

أما عن موقف **ألمانيا** كان متفقا مع المصالح الفرنسية هذا وقد اغتصبت إقليمي الألزاس و اللورين من فرنسا بعد هزيمتها سنة1870،وهي بذلك لا تزيد في مشاكلها مع فرنسا إذا تم إحتلال تونس ،وكذلك لم تكن لألمانيا مطامع في تونس على غرار ما كان لها في المغرب أوائل القرن العشرين. [4]

إضافة للموقف **الروسي** فقد أيد الدولة العثمانية وتحفظ في اتخاذ أي قرار لكنها أرادت أن تكون صديقا لفرنسا وأيدت استعدادها لمنافسة الموضوع هذا إذا بدأت إحدى الدول الكبرى المبادرة،فروسيا لا ترى في تبنيها مبادرة الوساطة إلا أنها مستعدة في تقديم مساعدتها إذا أخذت المبادرة ،دول كبرى لها مصالحها في لمنطقة كإيطاليا وبريطانيا.[5]

من خلال ما سبق ذكره اتسمت أوضاع تونس السياسية والاقتصادية والاجتماعية خلال القرن19م بالتراجع والتقهقر خاصة.

---

[1]عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي عصر الامبراطورية :العهد التركي في تونس والجزائر في تونس والجزائر ،ط1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت –لبنان ، 2005،ج3 ،ص 100.

[2]محمد عصفورسلمان ، المرجع السابق ، ص 7.

[3]–شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ،ص 123.

[4]محمد عصفورسلمان ، المرجع نفسه ، ص 9.

[5]نفسه ، ص 10.

الفصل الأول في حياة خير الدين التونسي لمحة عامة عن سيرته الذاتية

4- المبحث الأول مولد خير الدين الأصول والنشأة.

5- المبحث الثاني وطنية ومميزات شخصيته.

6- المبحث الثالث الوظائف السياسية التي إعتلاها خير الدين باشا التونسي ,و وفاته

الفصل الأول في حياة خير الدين التونسي لمحة عامة عن سيرته الذاتية

المبحث الأول مولد خير الدين الأصول والنشأة :

يعد القرن 19م فترة عصيبة في عهد الإيالة التونسية حيث عاشت أوضاعا جد مزرية في شتى الميادين هذا ما فتح الباب أمام محاولات التغيير والإصلاح والتي أقبل عليها سياسيين ومفكرين ومن أبرزهم خير الدين باشا التونسي المكنى ب أبو النهضة التونسية في القرن 19م ،أحد رواد ورموز الإصلاح الجامع بين شخصية المفكر ورجل دولة سياسي في آن واحد ، مامكنه أن يكون صاحب تجربة فذة في العالم الإسلامي و الوطن العربي، وفي هذا الفصل سنتطرق لدراسة سيرة خير الدين باشا بأهم تفاصيلها من الولادة حتى الوفاة ، فمن هو خير الدين التونسي ؟وما هي مميزات شخصيته؟

مولده و نشأته : بخصوص تحديد تاريخ ميلاد خير الدين[1] باشا التونسي لم هناك تاريخ مضبوط فقد تضاربت الآراء بين المؤرخين و المؤلفين حول ذلك ،حيث نجد الزركلي ذكر في كتابه الشهير " **الأعلام و هو قاموس تراجم لأشهر رجال و نساء العرب المستعربين و المستشرقين**" الجزء الثاني بأنه من مواليد سنة .1225هـ/1810م[2]، يؤيده في الرأي كل من ألبرت حوراني في كتابه "الفكر العربي في عصر النهضة[3] (1798–1939)، وكذا أحمد أمين في كتابه من علماء الإصلاح في العصر الحديث[4]، بينما هناك من يذكر و يرجح ولادته إلى سنة 1822.[5]

[5].1822

---

[1]**أنظر** :الملحق رقم 07 (صورة لخير الدين التونسي) .

[2]خير الدين الزركلي ، الأعلام –قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،ط13،دار العلم للملايين ، بيروت –لبنان ، 1998 ، ج2،ص327 .

[3]ألبرت حوراني ، الفكرالغربي في عصر النهضة (1798–1939) ، تر كريم عزقول ،دار النهار للنشر ،بيروت–لبنان، د–ت ، ص109.

[4] أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 146.

[5]الصادق الزمرلي ، أعلام تونسيون ،تق و تع : حمادي الساحلي ،ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت –لبنان 1986،ص109 .

أما الأرشيفات العلمانية فقد أكدت أنه من مواليد سنة 1242هـ/1826م ورغم الاختلاف السائد حول هذا التاريخ فهناك من يرجح أن سنة ميلاده إلى مابين 1822و 1823،أما خير الدين فلم يشير إلى تاريخ ميلاده في مذكرات.[1]

ويرجح نسب خير الدين إلى قبيلة أباظة من أصول شركسية الضاربة بجبال الشركس في الشمال الغربي من بلاد القوقاز بمنطقة نهر الكوبان[2]، خطف و هو طفل على اثر غارة أو فتنة[3]،فقد فيها حياة والده[4] ، و بيع عبدا في سوق الرقيق بالاستدانة[5] وتربى في أسرة غير أسرته ، في بيت تحسين بك نقيب الأشراف ، لذلك رأيناه يقول في مذكرته الأولى : " رغم يقيني من أنني شركسي الأصل ، فإنني لم أحتفظ بأي ذكرى دقيقة عن موطني و لا أهلي . لقد وقع اختطافي ، إثر بعض الحروب أو عند بعض الهجرات ، في سن مبكرة جدا ، من عائلتي التي افتقدت أثرها إلى الأبد ،...".[6]

و من المعلوم قديما أن الشراكسة في العالم الإسلامي ، هم قبائل بدوية تسكن البقعة الشمالية الغربية من بحر قزوين وجزء من ساحل البحر الأسود ، و كان عددهم كبيرا ، وكانوا مسلمين أبا عن جد عرفوا بفضائل عديدة منها الشجاعة و الكرم ، و يمتازون بالنظافة و الجمال ، لذا كان صغارهم الفتيان و الفتيات يختطفون أو يباعون ، و يصدرون إلى المملكة الإسلامية من عهد العصر العباسي الأول ، كما أن مصر قد حكمت من طرف المماليك الشراكسة من سنة 724هـ إلى سنة 923 هـ ، و كانوا يتميزون بقدرتهم على تسيير زمم الحكم .[7]

---

[1]مذكرات خير الدين باشا ، تح و تع : محمد العربي السنوسي ، المجتمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة تونس – قرطاج ،2008، ص19.

[2]محمد محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ،ط 1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان، 1982،ج2 ، ص 271.

[3]احمد أمين ، المرجع السابق ، ص 146.

[4]يظهر بأن والده كان شيخا للجبل ،وسيد المنطقة وهو حسن بك ،قتل إثر غارة من الجيش الروسي وحسب الوصية التي أعدها خير الدين نفسه أواخر حياته والمؤرخة في 25محرم 1304هـ/24نوفمبر 1888م ،يطلق على نفسه اسم خير الدين بن حسينبن عبد الله، كما حاول خير الدين العثور على عائلته وفي فترة من حياته تيقن أن أحد كبارالموظفين في مصر هو اخوه لكنه لم يحاول التعريف بنفسه لديه ؛ **ينظر**: همش مذكرات خير الدين التونسي، ص 20 .

[5]أحمد أمين ،المرجع نفسه ، ص 146.

[6]مذكرات خير الدين ، ص 19.

[7]أحمد أمين ،المرجع السابق ،ص 147-148.

وعند وصول خير الدين إلى استانبول بيع إلى تحسين بك ابن محمد الكبرى، و الذي اتخذه رفيقا و أخا لابنه الوحيد و أشرف على تربيتهما و تعليمهما و تلقينهما مبادئ العلوم الإسلامية و مبادئ اللغة الفرنسية ، و مع مرور السنين توفي رفيقه الابن الوحيد و على إثر ذلك اضطرب الأب لهذه المصيبة ، فحمله إلى سوق الرقيق (العبيد) و باعه إلى المبعوث باي تونس الذي كان يبحث عن مملوك صغير متعلم و متقن للغة الفرنسية .[1]

ويصف أحمد أمين ذلك المنظر: قائلا «**ونظر (أي خير الدين)فرأى تحسين بك يوما يعرضه على رجل يفحصه كما تفحص السلعة ويصعد في نظره ويصوب ويختبره من فوقه إلى قدمه ،ثم يدفع مالا في يد تحسين وينتقل هو إلى يده ،ثم يبحر به إلى تونس ،وإذا به في بيت جديد ،هو بيت أحمد باشا باي تونس**» . [2]

اشتراه أحد أعيان التونسيين ليهديه عند رجوعه إلى تونس لحاكم البلاد «**المشير أحمد باي الأول** »[3]،دخل خيرالدين تونس عام 1837 و سنهآنذاك سبع عشرة سنة وبداية من ذلك التاريخ أصبح مملوكا لهذا الباي [4]،فيقول في مذكراته :«**وأذكر أنني قضيت فترة شبابي في إستانبول التي التي تحولت منها إلى تونس سنة1255هـ للخدمة لدى الباي** »[5] ، فأحس هذا الأخير بالخصال الخلقية لهذا المملوك الجديد في قصره فقربه منه واهتم بتربيته وتعليمه[6] ، وألحقه (الباي) بمدرسة صغار المماليك أين تعلم اللغة العربية و أتقن معارفه الدينية ،كما إنخرط في سلك مدرسة الضباط الحديثة العهد (مدرسة باردو)، فأظهر من أيات الذكاء والإجتهاد والموهبة ، ومن علامات التقدم في مدراج العرفان ،ما أثار إندهاش أساتذته و إعجاب الباي الذي تأثر بمحياه الطلق ومظهره المحترم وقدرته على الإستيعاب ،حتى صار يتابعه إلى أن أنهى تعليمه فقرر إلحاقه بحاشيته الخاصة دون أن يفصله عن سلك الجيش . [7]

---

[1] محمد محفوظ ، المرجع السابق ،ص 272.

[2] أحمد أمين ،المرجع نفسه ،ص160.

[3] صادق الزمرلي ،المرجع السابق ،ص 98.

[4] رشيد الذوادي ، رواد الإصلاح ،ط2 ،نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ،تونس ،1983 ص 32.

[5] خير الدين التونسي ، المذكرات ، ص 19 – 20.

[6] رشيد الذوادي ، المرجع نفسه ،ص 32.

[7] صادق الزمرلي ، المرجع نفسه ، ص ص 25–26.

نشأة خير الدين :عرف خير الدين بشغفه وحبه للمعرفة الشاملة ومطالعة الكتب وإن جمعت تلك المعارف لبعضها البعض أصبحت كافية له بأنيوسم بالعالم والفقيه والمتأدب،تواق لمعرفة شاملة ورحبة ،هذا ما جعله يستفيد كثيرا من مكتبة القصر التي كانت تحتوي على أمهات الكتب والمخطوطات التي يجمعها أحمد بايباشا وهي مكتبة ضخمة .بلغت أكثر من ألفي مخطوط نادرة من المؤلفات في مختلف المجالات كالأدب والتاريخ والسياسة والفلسفة والدين والطب والفقه ...الخ.[1]

أصبح خير الدين منكبا على قراءة الكتب وأصبح ميالا قويا للقراءة والمعرفة ،حيث لا يكاد ينتهي من كتاب حتى يضع بين يديه كتابا آخر ،والباي يشجعه على مجالسة أهل العلم و الرأي[2]، ولذلك نجد **محمد بيرم الخامس** يقول فيه (خير الدين):«...**واستكمل القراءة والكتابة والتجويد والفروض الدينية ،ولحدة ذهنه أقبل بها على تحصيل الفنون العسكرية والسياسية والتاريخ ،ومطالعة الكتب وتعلم اللسان الفرنساوي فكان فصيحا بالعربية عارفا بالتركية والفرنساوية شديد التوقير للشريعة و العلماء محافظا على شعائر الدين عالي الهمة وقورا** ...»[3]، أي أنه أجاد إلى إلى جانب اللغة العربية ،الفرنسية ،والتركية ،قراءة وكتابة ومحادثة. [4]

أنشأه الباي نشأة دينية فتعلم ما يستطيع تعلمه على أيدي رجال الدين من أهل الزيتونة كما أتيحت له الفرصة انضمامه إلى المدرسة العسكرية التي أنشأها الباي أحمد سنة 1840والإحتكاك برجال البعثة العسكرية ،وفتح له المجال للإطلاع على نواح جديدة من الثقافة العصرية هندسة وجغرافية ،وتاريخا ،وقد كان الشاب متفتح الذهن نشيطا متمكنا من المعرفة التقليدية والحديثة .[5]

---

[1] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، ص 26.

[2] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، صص 26 – 27 .

[3] محمد بيرم الخامس ، مج1–ج2، المصدر السابق ،ص 506.

[4] سمير أبو حمدان ، المرجع نفسه ،ص 27.

[5] محمد بوذينة، خير الدين باشا (1890–1823/هـ1308–1238) ،ط1 ، سلسلة مشاهير 104 ، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم ،تونس ، 1995 ،ص 12 .

أما في تلك الأثناء كانت تونس تعيش في حالة من التخلف والجهل في جميع المجالات سواء في الحياة العلمية أو الفلاحة أو الصناعة أو التجارة ،بل وحتى في إدارة البلاد التي كانت تسير بأسلوب بدائي ومتخلف . [1]

يعتبر خير الدين باشا أحد أهم رجال الإصلاح العربي وخاصة السياسي في عصره وهو القرن 19م [2] وفي سنة 1852 سافر إلى باريس وأقام فيها ثلاث سنوات حيث أثرى معارفه في الإدارة والقضاء، عرف بانفتاحه وميله إلى التجديد بتونس ثم غادر إلى تركيا وهنالك لخص تجربة حياته في كتابه الشهير «**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** »[3]إهتم خير الدين باشا بعد تطلعه في الفكر والعلوم الشرعية، اهتم بدراسة عوامل التطور في أوروبا و أسباب التخلف في الدول الإسلامية .[4]

ومنه نستنتج أن خير الدين كان له الدافع الكبير في تطوير ذاته بالعلم و المعرفة ،و تكوينه الثقافي الذي جعله من كبار المصلحين في تونس ،من خلال تناول العلوم المتنوعة بمكتبة القصر وبذلك سجل التعليم الإبتدائي تطورا كبيرا في البلدان الشمالية و ألمانيا وسويسرا و فرنسا [5] ، أما التعليم الثانوي فيطلق عليه الطبقة المتوسطة ،يستقل الطالب بعد كسبه معارف العلوم ، وهو علم اللغات القديمة و الحديثة وعلم البيان والفلسفة والرياضيات أما التعليم العالي فيسمى بالطبقة المنهية ،تحضر الطالب بالمكتسبات العالية و المعاهد و بدراسة العلم الإلهي وأحكام النوازل وغيرها. [6]

---

[1]أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص ص 162-164.

[2]عبد المالك الظاهري ، محاولات اصلاح المجتمع و الدولة في الواقع العربي وسياقات التحول الراهن ،تقرير حول محتوى اليوم الدراسي ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،الجمهورية التونسية ،مركز البحوث و الدراسات في الحضارات و الأديان المقارنة، سوسة تونس ،يوم الخميس 4مارس 2021، ص02.

[3]الجزيرة مقال خير الدين التونسي ...الوزير المصلح المستنير ،شخصيات تونسية ، نشر : يوم 14-09-2016.

[4]نفسه .

[5]روبيرت تسنبرت، تاريخ الحضارات العام ،إشراف : حوزيف موريس ، تر: يوسف أسعد داغرفريد ،منشورات عويدات ،ط2 ،بيروت –لبنان ،مج6، ص 279.

[6]خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تح : منصف الشنوفي ،ط2 ، الدار التونسية للنشر ،تونس، 1986، ص 66.

وهنا نلتمس مدى إعجاب خير الدين بنظام التعليم الأوروبي ،عندما أصدر مرسوما في تونس بتقسيم العلم إلى ثلاثة مراحل :عليا – وسطى– سفلى . [1]

المبحث الثاني وطنية و مميزات شخصيته.

1–وطنيته :

لقد قيل في وطنية خير الدين ما قيل لذلك لابد أن نقوم بتوضيح هذا الإلتباس الذي تورط فيه بعض المؤرخين :

رغم البعض أنه مملوك عثماني مذبذب التفكير ،عمل مع البايات في تونس ثم إبتعد عنهم ليخدم السلطان عبد الحميد الثاني ،وذهب بعضهم أنه عثماني التفكير و الإتجاه ، إذ كان يرى أن القضية التونسية جزء لا يتجزأ من قضية الإمبراطورية العثمانية ،وأنه لا نجاة لتونس إلا في ظل الخلافة العثمانية وهناك من ادعى أن خير الدين ممن مهدواللإحتلال الفرنسي لما مكن إحدى الشركات الفرنسية من إقامة خط للسكة الحديدية يربط بين تونس المستقلة و القطر الجزائري المحتل ،و أيضا بيعه لأملاكه العقارية وخاصة «**هنشير النفيضة** »للشركة الفرنسية بمرسيليا. [2]

ويكفي أن نرد على الزعم الثاني بأن نذكر قائله بأن هذه التهمة إن صحت ينبغي إذن أن نلصق بكل المصلحين التونسيين الذين كانو يعتقدون نفس الإعتقاد فابن أبي الضياف وبيرم الخامسو محمد السنوسي وسالم بوحاجب ...الخ ، عقدوا فصولا في كتبهم للدعوة إلى هذا الموقف وهو ضرورة الإرتباط بالخلافة العثمانية لرد أطماع الإستعمار الأوروبي ،و ما الجامعة الاسلامية التي أراد بعثها جمال الدين الأفغاني في الربع الأخيرمن القرن 19 إلا تدعيم لهذه الدعوة . [3]

---

[1] أحمد عبد السلام ،المرجع السابق ، ص 68.

[2] رشيد الذوادي ، المرجع السابق ،ص 31.

[3] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، ص 43.

ولقد ردخير الدين بنفسه على الزعم الثالث ،مبينا أن منحه رخصة سكة الحديد الرابطة بين تونس و الجزائر لم يوافق عليها إلا بعد أن عجزت الشركات الإنجليزيةوالإيطالية عن الإيفاء بعهودها مع الملاحظة أنه إشترط على كل هذه الشركات أن لا تتجاوز في بسط هذه السكة للحدود التونسية ولا يمكن بحال الترخيص لها بتجاوزها إلا بعد إذن السلطان العثماني ثم أنه تخلى عن الحكم سنة 1877 دون أن يبث في القضية والذي منح الرخصة دون استشارة السلطان إنما هو خلفه هو مصطفى بن إسماعيل . [1]

ويعلق خير الدين قائلا :«**وبعد ،فليس مد سكة الحديد أخرى أو عدم مدها هو الذي يقرر نهاية الصراع ،ذلك أن الفرنسيين تم لهم إحتلال تونس في أيام قلائل بإنزال جيوشهم بطبرقة وبنزرت وباجتياز الحدود من جهة جبال خمير وسهول تبسة دون أن تغير إهتماما ما بسكة الحديد التي مازالت آنذاك بصدد البناء** »[2]

وأما بخصوص بيع أملاكه للشركة الفرنسية ،فانه لم يبعها إلا بعد أن عرضها على التونسيين بتخفيض 10في المائة من الثمن الذي يقترحه الأوروبيون ولكن مصطفى بن إسماعيل كان حريصا على إغتصاب كل أملاك خير الدين لحسابه الخاص دون أن يدفع درهما واحدا وهناك من يعتقد بأن خير الدين بترجمته مقدمة أقوم المسالك إلى الفرنسية لم يكن له منهم «**إلا تهيأة المجتمع التونسي لأن يهضم النظام الرأسمالي وبالتالي أن يسهل عمل الجالية الأجنبية** [3] .»

ولئن كنا نوافق أصحاب هذا الرأي على تحليلهم للوضع الإقتصادي الذي كان سائدا في القرن 19م بالمغرب فاننا نعتقد أن خير الدين التونسي كان حريصا على إتباع سياسة أساسها «التسوية والتعادل في منح الإمتيازات للأجانب بتونس سواء أكانوإنجليزيين أم فرنسيين أم إيطاليين بل أن أصل تخليه عن الوزارة الكبرى راجع إلى رفضه أن تكون الأفضلية للفرنسيين في التمتعبالإمتيازات و الرخص التي تمنحها الحكومة التونسية . [4]

---

[1] خير الدين التونسي ،أقومالمسالك في معرفة أحوال الممالك ،ص 64.

[2] المصدر نفسه ، ص ص 64-65.

[3] نفسه ، ص 44.

[4] خير الدين التونسي ، المذكرات ، ص 44 - 45 .

يحتل إرث خير الدين مكانة مهمة في الصرح الوطني للتونسيين ، وقد عرف فكره نجاحا هائلا منذ بداية تجربته ، ولا تزال النخب التونسية الحديثة ،على إختلاف مشاربها الفكرية وحتى السياسية ،مجمعة إعتبارالإباضي خير الدين الوتد المتين للجهد الإصلاحي المعاصر ،بل «كان لخطابه الترميمي صدى حتى بدايات القرن الحادي والعشرين عند العديد من المثقفين العرب »،وأكد عبد الوهاب بوحديبة في مؤلف جماعي يحمل عنوان {خير الدين التونسي } أن أفكاره الإصلاحية التنويرية كنت لها الدوام بعد أن إستلهمها المصلحون جيلا بعد جيل المكنى ب أب الإصلاح في تونس و بأبي نهضتها الفكرية . [1]

2-مميزاته وخصاله :

لقد تميز خير الدين بعدة خصال و مآثر عالية كرجل دولة سياسي ،من كفاءة في خدمة المصلحة العامة ووطنية صادقة ،وحسب تنظيم وحب الإصلاح ،كما عرف عنه صرامته في التسيير ،فاذا عنت له فكرة ،أو تمسك بمبدأ ،فهو لا يتزحزح عنهما و لو كانت الظروف المحيطة به تجبره على إنحناء الرأس قليلا حتى تمر العاصفة [2] فيقول فيه محمد بيرم الخامس أنه :«**عالي الهمة وقورا حتى يخاله من يخالطه متكبرا ،فإذا ثافنهرآهحسن القبول عفيفا عن الرشا راسخ الطبع ثابت الفكر ، لا يتزلزل عن رأيه حازما في العمل** ».[3]

ويقول أحمد أمين :«**كانت فضائله التي تكون شخصيته ، الجرأة في قول الحق ،عمله من غيرخوف ،صلابته فيما يعتقده من غير إنحناء ،وقوة كواهله على حمل الأعباء من غير تبرم فرحمه الله**». [4]

وهذه الخصال جعلت حتى الدول الأوروبية تهابه ،ونلمس ذلك عندما ذكره الكاردينال لافيجيري في تقرير رفعه إاى وزارة الخارجية الفرنية في شهر أفريل عام 1881، حول الوضع في تونس قصد تحذير بلاده من بعض الشخصيات التونسية فيقول :

---

[1] عبدالحق الزموري، خير الدين التونسي بين الحقيقة وظلها ،ط1 ،ارتحال للنشر و التوزيع ، (د.ب) ،2021، ص 200.

[2] محمد محفوظ ،المرجع السابق ،ج2 ، ص 275-276.

[3] محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 49.

[4] أحمد أمين ،المرجع السابق ،ص 183. وللمزيد ينظر : نقولا زيادة أعلام العرب ، المرجع السابق ، ص81.

«**إن خير الدين هو ،رغم كل المظاهر ،أشد المسلمين خطرا ، وأن مقدرته تجعله يهاب** »[1] ، لقد ظلت أفكار خير الدين ومواقفه الإصلاحية رائجة في أوساط النخبة التونسية ،بل وحتى العالم الإسلامي والعربي الذي ينتمي له لمحافظته على القيم الإسلامية وعمله على تغيير الواقع إلى الأحسن بأفكاره الإصلاحية .[2]

فلقد أفادته التربية الأولى أن يكون متدينا مثقفا طلعا على أحداث الماضي قريبا من نفوس العلماء وخاصة الشعب و أفادته التربية الثانية في حب النظام وقوة الحزم واتسم بطموحه وحبه ورقي بلاده فيأخذ في تنظيم الجيش وتشجيع نشر العلم ،وتخصيص مرتبات للعلماء .[3]

لم يكن خير الدين أصيل البلاد التونسية ،لكن اعتبر نفسه مثلما يقول في مذكراته «**تونسيا لحما ودما بالتبني** »إعتبر بمثابة منزلة برنامج ترميمي للنهوض بالعالم العربي والإسلامي كله وتهدئته لدخول الحداثةدون أن يتخلى عن المقومات الذاتية وهويته وعقيدته. [4]

تربى كعبدتحت سيده ،كما تميز خير الدين بالاستخباراتمما دفعه لتعلم المهارات السياسية والعسكرية وحتى التاريخية حتى تم تعيينه مشرفا على مكتب علوم الحرب وقد أثبت تميزه بالجدارة بهذا المنصب ففاز بالراتب العسكري[5] ،كما تميز بحبه للناس وهذا ما أهله أن يكون أحد أبرز رجال الإمبراطورية العثمانية في تونس في القرن 19م الذي كان وجوده نعمة على البلاد . [6]

المبحث الثالثالوظائف السياسية التي إعتلاها خير الدين باشا التونس و وفاته

1 – تدرجه للمناصب الرسمية في الحكم

[1]علي المحجوبي ، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر (لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت بالبايات)، دار سراس للنشر ،تونس ، 1999، ص 129.

[2]الشيباني بلغيت، المرجع السابق ، ص 70.

[3]أحمد أمين ، فيض الخاطر ،خير الدين باشا التونسي ،مؤسسة هنداوي ،1946، ج6 ،ص

[4]الموسوعة التونسية المفتوحة ، ملف خير الدين التونسي ،يوم 6مارس 2017، الساعة 12:29 ، **للمزيد:** أنظر أحمد أمين ، المرجع نفسه، ص ص 152– 153.

[5]موقع ترينداتت، إصلاحات خير الدين باشا وأهم ركائز الحركة الإصلاحية 2022: https://ar.alnfaee.net/post/5986

[6]عائد عميرة ؛ حفصة جودة ، خير الدين باشا :أبرز رجال الإصلاح العثماني في تونس ،حرر في [نون بوست]مدونات ،نشر بتاريخ 17–1–2018، عبر الرابط : https://www.noonpost.com/content/21649

أخذ أحمد باي ينظم جيشه عندما تولى الحكم وطلب من فرنسا المساعدة في ذلك فأرسلت إليه مجموعة من الضباط الفرنسيين وعلى رأسهم القوم ندانكامبون الذي صار فيها بعد وزيرا للحربية الفرنسية في حكومة جامبتا ،فالتحق خير الدين بالجيش التونسي يتعلم من هذه البعثة بعد أن أنهى دروسه ،وكان هذا يوافق مزاجه الشركسي[1]،وأول عمل شغل به خير الدين نفسه أن عهد إليه أحمد باي إدارة المدرسة العسكرية وذلك بفضل فطنته وذكائه . [2]

وبمزاولته للعمل العسكري بدأت تظهر عليه علامات النجابة في التسيير، وأضحى في حالة إستياء شديد في حالة الإنحطاطوالإنحلال التي آلت إليها البلاد ،فانتقل مباشرة من القيادة العسكرية إلى حاشية المشير ليستشار في المسائل السياسية وخاصة بما تعلق بالعلاقات الخارجية الأوروبية. [3]

ثم عين بعد ذلك في سلك الجيش آلاي أميني (قائد أول) في محرم 1258 هـ آخر فيفري 1842 بعسكر الخيالة الذي أنشأه أحمد باي ضمن الجيش النظامي الذي أحدثه ، وفي رجب 30 1261 هـ /4أوت 1845 ترقى إلى قائم مقام ،وفي 8 ذي القعدة 28/1226أكتوبر 1842 ترقى إلى رتبة أمير آلاي كما قام بمهام ضابط يوران لدى أحمد باي ،وكان من أعوان الباي الذين إصطحبهم في سفره إلى فرنسا سنة 1846 .[4]

والجدير بالذكر أن خير الدين قد أعتق لما ألغى أحمد باي الرقيق سنة 1845 [5] ، ثم عين في عام 1266هـ/ 1850 م أمير لواء (كولونيل) ونتيجة ما أبداه من تنظيم ومهارة في الخدمة العسكرية إنتقل من السلك العسكري إلى حاشية الباي لمزاوله السياسية فأضهر تفوقا ومهارة في فهم المشاكل السياسسة ،بالخصوص مايتصل منها بالعلائق الأوروبية . [6]

---

[1]أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص 152 .

[2]ألبرت حوراني ، المرجع السابق ،ص 109.

[3]محمد الفاضل بن عاشور ، تراجم الأعلام ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970م ، ص ص48-49.

[4]أحمد عبد السلام ، المؤرخون التونسيون (في القرن 17و18و19)، تر: عبد الرزاق الحليوي ،بيت الحكمة ، تونس 1993، ص 367.

[5]نقولا زيادة ، أعلام عرب : محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الأهالية للنشر و التوزيع، (د.ب) ،1994 ،ص 78.

[6]محمد محفوظ ، المرجع السابق ،ج 2 ، ص ص 271، 272.

- **مهامه :**

أول مهمة سياسية كلف بها خير الدين 1270هـ هي الدفاع عن أموال الدولة و مقاضاة ملتزم الضرائب السابق **محمود بن عياد**[1] ،الذي إختلس أموال الدولة وفر بها إلى فرنسا وحصل على الجنسية الفرنسية ، وكان كل ذلك بعلم من شريكه مصطفى خزندار ،حيث سافر خير الدين إلى باريس سنة 1269 هـ-1853م بتكليف من أحمد باي وقد طالت إقامته هناك حتى بلغت حوالي أربع سنوات ،وهو يدافع عن مصالح الدولة التونسية ضد أمير الأمراء المذكور سالفا، حيث إنعقدت لجنة النزاعات لدى وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية المنتصبة بمثابة محكمة[2]صلحيه بتفويض من الإمبراطور نابليون الثالث .[3]

وقد تقرر بأن تدفع الحكومة التونسية لإبن عياد ،للنظر في القظية و التحكم فيها وهي لجنة النزاعات في وزارة الشؤون الخارجية برئاسة السيناتور جوزاف ماري كونت دي بورااليس (1778-1858)[4] لينظر في الخلاف و يضع تقريرا مفصلا حول حوله ،وتم تدوين احداثيات هاته هاته القضية في كراس ضخم احتوى على18مذكرة طويلة للدفاع عن المصالح التونسية، حسب ما ذكره خير الدين[5]

وكانت النتيجة بعد تحصل إبن عياد على الجنسية الفرنسية و أصبح مواطنا فرنسيا ،أربعة ملايين قرش ،ولكنها قضت في الوقت نفسه بأن يدفع لها 28 مليون قرش[6]،فنجح خير الدين

---

[1] **محمود بن عياد (1810-1880)** :كان متهما باختلاس أموال الخزينة العمومية ،أصبح منذ عام 1847 شريكا لمصطفى خزندار وبفضله أخذ (لزمات) الحكومة التونسية كلها ، كان يسير البنك الوطني المحدث سنة 1847والذي إختصباصدار الأوراق المالية في الإيالة ، .سافر لباريس سنة 1850بغرض شراء القمح ...وبهذه المناسبة التمس سريا لنفسه وشريكه للحصول على الجنسية الفرنسية التي قد تصلح لهما في حالة الغضب عليهما ؛**ينظر**: هامش فريد حاجي ، المرجع السابق ، ص 97.

[2] خير الدين التونسي ، المذكرات ، ص 21.

[3] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص 30 .

[4] خير الدين التونسي المذكرات ، ص 21.

[5] نفسه ، ص 23.

[6] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، ص 30.

أثناءها في إستعادة أربعة وعشرون مليون فرنك وردها لخزينة الدولة[1]، وقد عهد إليه كذلك أحمد باشا أثناءإندلاعحرب القرم سنة 1854م بالتوجه نحو باريس لبيع مجوهرات الحكومة لتقديم ثمنها كمساعدة للدولة لعثمانية في حربها ضد روسيا [2] ،وفعلا فزيادة على الإعانة الحربية التي أرسلت إليها (14000جندي)تمكن خير الدين من بيع المجوهرات ثم أرسل ثمنها وقدرة نحو مليونين من الفرنكات . [3]

إلى جانب ذلك أمره الباي أن يطلب قرضا من فرنسا وكانت هذه المسألة خطيرة لم يستطع ضمير خير الدين تحملها ولا سيما أن الباي قد أصيب بالشلل وقربت منيته[4] فظل يماطل في عقد عقد هذا القرض لما يراه من مضرة للبلاد التونسية وراجع الباي مرارا إلىإلى أن توفى الوالي المذكور ووافقه خلفه محمد باشا على عدم القرض وشكره على عدم الإستعجال في ذلك . [5]

أفاد بقاء خير الدين في باريس هذه المدة إطلاعه على الدنيا الجديدة ومعرفته بنظمها وإحتكاكه برجال السياسة وفهمه لأغراضهم ، و وضع عينه على أسباب رقي الأمم ، وقارن بينهما وبين تونس لما تأخرت وكيف ترتقي مما كان له أثر كبير في حياته المستقبيلة كما أفاده أيضا علو شأنه في أمته و ثقافتها به وأملها فيه ، ولما عاد خير الدين إلى تونس ، وإثرما حققه من نجاح [6]رقاه محمد باي (باشا) في جانفي عام 1857 إلى رتبة وزيرا للحربية خلفا لمحمود كاهيةالمتوفي[7] ، وبقي بهذا المنصب مدة سبع سنوات (1856–1862)وفي هذه الفترة قام ومن خلالها قام بأعمال إصلاحية نهضوية كثيرة أهمها :

- إصلاح ميناء حلق الوادي الذي كان أعظم ميناء لتونس وأمر بأن يغير كل شيء يعمل في وزارته وكان هذا النظام أول ما دخل في تونس.

[1]عبد الرزاق خلف محمد الطائي ، «خير الدين التونسي ومشروعه النهضوي » ، دنيا الوطن 2010/5/21، ص 2.

[2]محمد بيرم الخامس، المصدر السابق ، ص 507.

[3]رشيد الذوادي ، المرجع السابق ،ص 27.

[4]أحمد أمين .المرجع السابق ، ص 155.

[5]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ، ص 508.

[6]أحمد أمين ، المرجع نفسه،ص 155.

[7]محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ج 2، ص 272.

- إنشاء مصنع بخاري لبناء السفن واصلاحها .[1]
- تنظيم إدارة الوزراء .
- إصلاح لباس الجيش.
- ضبط إتفاقيات مع الأجانب لحفظ الأراضي التونسية.
- شق الطرق بحيث ربط سائر لجهات التونسية .

إلا أن الأهم من ذلك هو إتجاه خير الدين إلى التحديث والشروع ب:

- وضع قوانين لمجلس شورى منتخب . [2]
- رتب هيئة خدمة الوزراء لتقييد المكاتب الصادرة.
- ضبط جميع الحركات والنشاطات اليومية في فترة وجيزة ،ويقول محمد بيرم الخامس حول هذه النقطة الأخيرة « **أنه أول من عرف ذلك في القطر لأن الأمور كانت تجري سابقا دون ضبط** »[3] »[3] ،ويقول في مذكراته خير الدين التونسي :«**ولقد ارتقيت سلم الرتب العسكرية (بتونس) رتبة رتبة إثر أخرى** » .[4]
- أقدم على وضع إتفاقيات مع الأوروبيين حول شراء الأراضي و العقارات بالبلاد التونسية على أسس وقواعد تضبطهم في حدود الإستثمار لا الإستغلال .[5]

كان خير الدين محبا للإصلاح مناصرا له فأيد محمد باي حين أصدر عهد الأمان سنة 1857 ووقف إلى جانب محمد الصادق باي حين أصدر الدستور في 29يناير 1861 م[6] فعينه الباي محمد

---

[1]أحمد أمين ، المرجع نفسه ، ص 155.

[2] عبد الرزاق خلف محمد الطائي ،المرجع السابق ، ص 5 .

[3]–محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ص 508 .

[4]خير الدين باشا ، المذكرات ، ص 21 ، وللمزيد ينظر إلى المصدر :

smidamongi , kheredine1873,1877 .ministrereformateur , M–T.E , Tunis, 1970, p n17.

[5]محمد بيرم ، المصدر نفسه ، ص 50 .

[6]عبد الرزاق خلف محمد الطائي ، المرجع نفسه ، ص 05.

الصادق سنة 1860 كهيأة لرئيس المجلس الأكبر وعند وفاة رئيسه الوزير المصطفى صاحب الطابع [1] مع إحتفاضه بوزارة الحرب عام 1861م ،وساهم في وضع قوانين لمجلس الشورى.[2]

وأثناء قيامه برئاسة المجلس الأكبر الإستثماري أبدى نشاطا كبيرا لإظهار مبادئه الإصلاحية في السياسة و الإدارة والمجاهرة بنقد الأساليب التي كانت تسير فيها الدولة ، ومن أجل ذلك إشتد الخلاف بينه (خير الدين)وبين صهره الوزير الأكبر مصطفى خزندار ،وأثارت أفكاره وأعماله إعجاب و تقدير المصلحين ، وقاومها مع خزندار كل الذين لبست لهم مصلحة في تغيير الأشياء و شنوا حملة من الدسائس والافتراءات وبعد خمس سنوات من المجهودات المبذولة للإصلاح وتغيير الأوضاع باءت بالفشل[3] ، بسبب إصطدامه برجال الدين الذينأصروا على المزج بين الدين والدولة وعدم الإقتياس من الغرب ، كما اصطدم بأصحاب النفوذ[4] و الباي اللذين أرادا أن يكون لمجلس غطاء للمشاريع و الممارسات المتناقضة مع مصلحة البلاد العليا ، على حين خير الدين كان يريد عكس ذلك تماما ، فقدم إستقالته . [5]

وفي هذا الصدد يقول خير الدين : « **لقد حاولت أن أسير بالأمور في طريق العدالة و النزاهة و الإخلاص فذهب كل مساعي سدى ، ولم أشأ أن أخدع وطني الذي تبناني ، بتمسكي بالمناصب ، ورأيت أن الباي وعلى الأخص وزيره الرهيب العظيم الجاه مصطفى خزاندار ، لا يلجآن إلى التشريعات الإصلاحية إلا لتبرير سيئاتها تبريرا قانونيا ،فقدمت إستقالتي سنة 1279 هـ/ 1862 م من رياسة المجلس ومن وزارة الحربية ، وعدت إلى حياتي الخاصة** »[6].

بقي خير الدين عضوا بالمجلس الاكبر في المجلس الباي الخاص يحضر المواكب في بعض المناسبات ويشارك ويبدى رأيه في مداولات المجلسين إذا ما دعي لها ، كلف خير الدين في مدة إعتزاله

---

[1] أبو عمران الشيخ وآخرون ، مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب ، الجزائر ،(د.ت)، ص 173 .

[2] عبد الرزاق خلف محمد الطائي . المرجع نفسه ، ص 05.

[3] محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ص 272.

[4] جلال يحي، العالم العربي الحديث والمعاصر المدخل، المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية ،مصر ،1998، ج1 ، ص 244-245.

[5] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص 36.

[6] خير الدين التونسي ، المذكرات، ص 25.

للوظائف بإيصال أوسمة عدد من ملوك أوروبا فزار السويد و الدنمارك ، وبروسية وبلجيكية ... ،زار تسع دول أوروبية. [1]

بعد خروج خير الدين من الحكم ساءت حالة البلاد ، ودخلت في فوضى مالية وسياسية وكان سببها القروض التي طلبها المشير الصادق باي المقدرة ب 35 مليون فرنك ، زيادة على ذلك إقدام الباي على مضاعفة معلوم المجبى[2] برفعه من 36 الى 72 ريالا سنة 1964 ليتدارك به الأزمة المالية التي وقعت بها تونس[3] ، وفي مدة إعتزاله للمناصب السياسية دون كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك وأودع فيه خلاصة آرائه في الإصلاح و التمدن[4] و أدى ذلك الوضع لإندلاع ثورة علي بن غداهم التي كادت تعصف بالنظام الحاكم آنذاك لولا تمكن الباي من القضاء عليها وانتهت بإخضاع ابنغداهم و إجباره على دفع غرامة حرب بقيمة مئة مليون ريال(60مليون فرنك).[5]

إجتاحت البلاد ظروف سيئة من ظهور الكوليرا والحصى التيفوسية سنة 1867م فإنتشرت المجاعة وعم القحط ، ليتم عقب ذلك تشكيل لجنة مالية مختلطة تتولى قبض إدارات الدولة وتوجيهها[6] وتم تعيين الباي خير الدين ليكون رئيسا لها الذي رفض في البداية تولي الأمر. [7]

وبعد مفاوضات عسيرة تمكن من عصر المؤسسات والقطاعات الإنتاجيةالتي ينبغي أن تكون لوحدها مصدرا لتسديد الديون وعمل على القضاء على الفساد في السلطة ،والمتمثل في مصطفى خزندار[8](صهره) وقد نجح في مهمته ،فبقي في منصب الوزير الأول بعد شاغرا بعد تنحيته[9]ليتم تنصيب تنصيب خير الدين من جديد عليه في 21أكتوبر 1873 م بعد عناء وجهد وعراقيل واجهته من صهره بمضاربات مالية و اكتشف خير الدين سرقته فقام بعدة إصلاحات منها[10] :

---

[1]أحمد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 370.

[2]**ينظر** :الملحق رقم 8 (وثيقة مضاعفة المجبى فرضها الباي محمد الصادق على الشعب التونسي في 1857/09/10)

[3]حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ، تق و تح : حمادي الساحلي ، دار الجنوب ، تونس 2001 ، ص ص 143-144.

[4]محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ص 274.

[5]خير الدين التونسي ، المذكرات ، ص25.

[6]شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير : من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ، مصر ،2003، ص ص 121- 122.

[7]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ، ص 53.

[8]سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص 41 .

[9] أحمد عبد السلام ،المرجع السابق ، ص57.

[10]أرسل الصادق باشا خير الدين مرتين إلى إسطنبول لمنح العائلة الحسينية حق الوراثة في إدارة تونس ،وأن تكون ولاية مستقلة في إدارة شؤونها الداخلية ، ولكن لايحق لها عقد معاهدات مع دول أجنبية ونجح خير الدين في إفتكاك فرمان سلطان يقر بذلك ،بعد

- إنشاء منصب وزير أكبر لتوثيق الصلات بين الإيالة التونسية و الدول الأوروبية وكذا مع الباب العالي . [1]
- أنشأمجلسا مختلطا بتونس للتقاضي بين الأهالي والأجانب في المسائل المالية ، وشرع في توحيد الأحكام الجاري العمل بها في البلاد .
- أنشأ مجلسا صحيا بالعاصمة لمراقبة الأمراض المعدية .
- أحدث إدارة للأوقاف العامة بنظام محكم سنة 1874 وعهد بها إلى الشيخ محمد بيرم الخامسإلتفت إلى الفلاحة وسن قانونا ملائما لمصالح البلاد 1875 وقام بترتيب برامج التعليم بجامع الزيتونة عام 1876 و أنشأ المكتبة الصادقية . [2]
- سعى إلى إحياء الصناعات التقليدية وتطوير التجارة الوطنية . [3]

ويبدو أن الجهود التي بذلها خير الدين منحته نفوذا كرجل دولة يتولى الوزارةالكبرىوكان منافسوه له بالمرصاد فسمعوا به وضايقوه[4] ،وحيكت له الدسائس والمؤامرات من قبل مصطفى بن اسماعيل الذي نال الحظوة عند الباي ،فقدم خير الدين استقالته للمرة الثانية و الأخيرة عام 1877 ليتولى مصطفى بن إسماعيل منصبه[5] ، وبعدها إعتزل عن الحياة السياسية واتفق مع الباي بأن يقضي هو وعائلته في تونس تحت رعايته ، مع منحه الحرية الشخصية دون التدخل في أي أمر سياسي[6] وسافر إلى فرنسا للإستجمام ، وكان أثناء ذلك على إتصال مستمر بالأوساط السياسية العليا في الأستانة بواسطة الشيخ محمد ظافر الطرابلسي الدرقاوي[7]المقرب من السلطان عبد الحميد. [8]

بعثته الثانية في 1871،**ينظر**: فاضل بيات، المرجع السابق ،ص 590 و المجلة الزيتونية ، مج 3 ، ج 4 ،ج5، ج6 ، ص ص 31-34 .

[1]الملحق رقم (9) .

[2]الملحق رقم (11)

[3]حسين حسني عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص145 ، وللمزيد ينظر، أبي عبد الله بن عثمان السنوسي ، مسامرات الطريف بحسن التعريف ،تج ،تع :محمد الشاذلي النيفر ،دار ابو سلامة .تونس،ج1، ص ص 96- 110.

[4]عبد الكريم غلاب ،قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي ، المرجع السابق ،ج3 ،ص 91.

[5]شوقي الجمل ، المرجع السابق ،ص 123.

[6]محمد بيرم الخامس ، المصدرالسابق ،ج2، ص 93.

[7]- محمد ظافر من مواليد طرابلس الغرب سنة 1827 عاش مدة في تونس وتعرف هناك بخيرالدين ، **ينظر** :خير الدين التونسي، المذكرات ، ص 49.

[8]محمد الفاضل بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 56.

وفي عام 1878 قدمت برقية إلى قصر الباي مرسلة من الأستانة إلى خير الدين التونسي يطلب فيها السلطان عبد الحميد من خير الدين القدوم إلى الأستانة فلبى خير الدين االنداء تاركا وراءه تونس تتخبط في الجهل والتخلف ونحو الإستعمار هذا[1] بعد تطلع السلطان على كتابه (خير الدين) أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك الذي أعجب بأفكاره . [2]

وقبل رحيله عرض أملاكه للبيع قدرت ب:ثلاثة قصور أهداها إليه البايات المتعاقبون على حكم تونس كمكافأة له جراء خدماته الجليلة ،وغابة من الشجر زيتون أهداها له الباي أحمد ومنزل كبير به مياه معدنية أهداه له أيضا الباي محمد ، وضيعة كبيرة منحت لع في عهد الصادق باي . [3]

وقد عرضها على الحكومة التونسية لشرائها لأنه عزم على الإستقراربا**لأستانة**[4] وكلف لهذا الأمر موكله مصطفى المورالي غير أنها رفضت شراءها ،ثم عرضها على الشعب التونسي رغم خفض ثمنها ل10%من العروض التي تقدم بها الأوروبيون إلا أنه لم يتقدم أحد لشرائها خوفا من الباي ووزيره وفي الأخير لميبقى أمامه سوى بيعها إلى الفرنسيين ،أي بنك شركة مرسيليا société marseillais[5]وعند وصوله إلى الإستانة مكث في قصر يلدز[6] (وهو القصر الخاص الخاص بعبد الحميد الثاني)وعرض عليه السلطان السلطان العثماني منصب وزير العدل ثم نصبه **صدرا أعظم**[7] 1778.

ويمكن أن نقول أن الوقت الذي تولى فيه هذا الحكم كانت السلطنة العثمانية تتخبط هي الأخرى في مشاكل عويصة بسبب تنافس الدول الأوروبية على تقسيم أملاكها ،وبالرغم من

---

[1]سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، ص ص 55- 54 .

[2]ألبرت الحوراني ، المرجع السابق ،ص 112.

[3]أحمد أمين ، المرجع السابق،ص 192-193؛ وللمزيد ينظر: خير الدين باشا التونسي ،المصدر نفسه، ص 54.

[4]**الأستانة**:ناحية بخرسان من نواحي بلخ التي نسب لها أبو السعادات هبة الله بن عبد الصمد بن عبد المحسن الاستاني؛**ينظر**: أبي عبد الله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،لبنان ،1397 هـ -1977م ، المجلد الأول ، ص 174.

[5]خير الديين التونسي ،المذكرات ، ص 55 ،للمزيد ينظر: خليفة الشاطر ، تونس عبر التاريخ ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 18.

[6]المرجع نفسه ، ص 59.

[7]**الصدر الأعظم** :يمثل الموقع الثاني بعد السلطان وصاحب هذا المنصب له صلاحيات مطلقة في إدارة شؤون الدولة؛ **ينظر** :حسن الضيقة ، الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة ، دار المنتخب العربي ،بيروت -لبنان ، (د.ت) ،ص ص87-86.

هذا الإنهيار ،كان على خير الدين مواجهة كل مايتعلق بالدولة خارجيا وداخليا [1] ، كان خير الدين عندما تولى الصدر الأعظم مقتنعا بضرورة عزل إسماعيل باشا ، وكان يريد إعادة مصر إلى السيادة العثمانية ،لأنه كان يرى أن أي بلد يستقل بنفسه سيقع عاجلا أو آجلا تحت نفوذ البلدان الأوروبية[2]

2 – وفاته :

رغم بقاء خير الدين في المنصب لمدة ثمانية أشهر إلا أنه لم يتحمل كل تلك الأعباء التي تركها له السلطان عبد الحميد ،كما أن إختلاف التفكير بينهما جعل السلطان ينفر منه مثلما نفر منه الباي من قبل ، كما آلب عليه أيضا رجال الدين ،وبذلك عزل خير الدين من المنصب ،وتوفي في الإستانة سنة 1307هـ/1889م ،عن عمر يناهز السبعين عاما ،ودفن بجامع أيوب ،مخلفا تاريخا كبيرا وحافلا في الإصلاح ومكافحا للفساد . [3]

و بفضل تجربته الفكرية الإدارية والسياسية وإسهاماته جعلته أبرز شخصية عثمانية في تونس ،حتى أن سلطات البلاد جلبت جثمانه ودفنته في مقبرة الجلاز بالعاصمة تونس سنة 1968 م كما طبعت صورته على ورقة نقدية من فئة العشرين دينارا فضلا عن إصدار البريد التونسي عدة طوابع موشحة بصورته .[4]

ومما سبق نخلص إلى أن خير الدين التونسي الشركسي الإباضي الأصول نشأ كعبد مملوك استطاع بفضل ذكائه وخبرته وفطنته تقلد أهم المناصب في البلاط التونسي، وغير الأوضاع للأحسن نوعا ما رغم التقهقر والصعوبات التي كانت تمر بها البلاد التونسية ، وغير انه إستقال من جميع وظائفه بسبب المؤامرات والدسائس التي حيكت ضده ليرحل لإستانبول ويتحمل مسؤوليات أخرى في الدولة العثمانية بعد إعجاب السلطان العثماني بأفكاره التي تطلع عليها من خلال **مؤلفه أقوم المسالك** ... ، لينتهي به المطاف أن وافته المنية .

---

[1] سمير أبو حمدان ،المرجع السابق ، ص ص54–55.

[2] محمد الحداد ، المرجع السابق ،ص 101.

[3] أحمد أمين ، المرجع السابق ،ص ص 196 –197.

[4] حفصة جودة عائد عميرة ،المرجع السابق ، ص 19.

الفصل الثاني التعريف بمؤلف خير الدين الشهير "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" وبوادر الإصلاحات السياسية بتونس .

7- المبحث الأول كتاب خير الدين "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" ظروف الكتابة، محتوى وأهمية المؤلف .

8- المبحث الثاني الحركة الإصلاحية السياسية في تونس .

9- المبحث الثالث محاولات الإصلاح السياسي في تونس

الفصل الثاني التعريف بمؤلف خير الدين الشهير " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " وبوادر الإصلاحات السياسية بتونس .

1- المبحث الأول : كتاب خير الدين "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك" ظروف الكتابة، محتوى وأهمية المؤلف.

1-ظروف الكتابة وأسباب التأليف:

قبل التطرق لأفكار خير الدين التونسي الإصلاحية السياسية من خلال كتابه " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " الذي ميزه عن غيره من رجالات النهضة في القرن 19في أنه جمع بين شخصية المفكر ورجل السياسة في البقاع العربية والإسلامية والمواقع السياسية التي تقلد فيها مكنته من تحقيق عدة أفكار إصلاحية التي جملها في مؤلفه الذي يأتي ثامنا بين مجموعة من الكتب التي تناولت عددا لا يستهان به من مفكري عصر النهضة والذي سندرس ظروف وأسباب كتابته ومحتوى الكتاب

فما هي ظروف كتابة مؤلف خير الدين أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ؟ وما أسباب تأليفه؟ وما محتوى الكتاب ومدى أهميته بالنسبة لمفكري عصر النهضة ؟

- ظروف الكتابة :

عكف خير الدين لكتابة مؤلفه المسمى" **أقوم المسالك** ... "[1]في فترة اعتزالهالوظائف العامة من السلطة بتونس عام 1862م ،وعاد إلى حياته الخاصة إلا أنها لم تكن كذلك في الحقيقة ،لأنه بقلي متصلا مع بلاط الباي الذي لم يتركه هو الآخر لأنه يعتبره شخصية تستشار في أمور الدولة ومشاكلها وبذلك بقي تسع سنوات بعيدا عن العمل السياسي لكن المهمات الخارجية التي كلفه الباي بها أكسبته خبرة في السياسة الخارجية ،وهنا تم إرساله موفدا من قبله إلى كل من فرنسا وإنجلترا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وهولندا والسويد والدنمارك وبلجيكا[2]اعتكف في بستانه ،حيث يصف لنا ذلك محمد بيرم الخامس بقوله :«**وبقي الوزير خير الدين في بستانه مقبلاعلى شؤون نفسه ،لا يختلط بالحكومة إلا نحو يومين**

[1]الملحق رقم (12) : صورة الغلاف الداخلي لكتاب اقوم المسالك في معرفة احوال المماليك لخير الدين التونسي.

[2]سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص ص 27-38.

في الشهر ،يتوجه إلى الوالي للسلام عليه أو عندما يدعو لأمرما ،كما وقع عند قتل الشهيدين إسماعيل السني ورشيد لأن الوالي جمع بع ذلك رجال حكومته وأعلمهم بالقتل ...»[1]، وأكمل تأليفه يوم الإثنين 10 جمادى الأول سنة 1284هـ /9سبتمبر 1867م وتم طبعه بمطبعة الدولة التونسية في 28 ربيع الثاني سنة (1285هـ/18أوت 1868 م).[2]

وقد نشرت في كراريس صدر آخر كراس منها في أواخر ربيع الثاني في عام 1285هـ (أغسطس 1869) ثم أضيف إلى الكتاب التقارير[3]العديدة التي وردت على خير الدين بعد إطلاع المثقفين على كتابه.[4]

ويقال أن خير الدين قد عهد بتحرير أفكاره في أقوم المسالك إلى أحد العلماء التونسيين ،ويرجح أنه الشيخ سالم بوحاجب (1927–1827)مقولة ،مستعين في تهذيب ألفاظه ببعض أبناء الوطن (تونس).[5]

ثم ترجم هذا الكتاب إلى عدة لغات ،حيث ترجمت مقدمته إلى الفرنسية سنة 1868،وسميت الترجمةالفرنسية «**الإصلاحات الضرورية للدول الإسلامية** »[6] ،و إلى الإنجليزية سنة 1874م كما صدرت طبعته العربية المقدمة في استانبولسنة1876م ترجمه إلى التركيةإسماعيل حقي سنة 1878م[7] ،والذي أشرف على ترجمة الكتاب ، بل وحرص على ذلك **الجنرال حسين**[8]، ونلمس ذلك في رسائله حتى قال في إحداها ، والمؤرخة في 14 فيفري 1868 :«**إن مقدمة كتابكم في صدد الطبع ، وفي أيام قليلة تتم إن شاء الله وقد أعجبتني للغاية ، ولا شكإنه يقع في الناس الموقع الحسن بالنظر إلى مقاصد الكتاب وعبدكم في صدد تحضير أرتيكل(أي مقالا صحفيا)ظريف**

---

[1]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 52.

[2]حسن حسني عبد الوهاب ، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ،القسم الأول ،مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت– لبنان ،ج2 ،ص 578.

[3]الملحق رقم (14) (صورة تبين تقارير منكتاب أقوم المسالك خير الدين).

[4]أحمد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 17.

[5]خير الدين التونسي ، اقوم المسالك في معرفة احوال المماليك، ص 25.

[6]أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص 158.

[7]محمد محفوظ، تراجم المؤلفين ،ج2 ، ص ص 277–278.

[8]**الجنرال الحسين** :أصله مملوك من المماليك الشراكسة ، وتربى في كنف الامراء الحسينيين ،تقلد رتبة أمير اللواء ثم أمير الأمراء وتوفي في إيطاليا سنة 1304 هـ ؛ **ينظر** :محمد الفاضل بن عاشور ، المرجع السابق ، ص 23.

يكون مقدمة مدح وشكر لمقاصده الحسنة وتكلمت مع بعض الجنرالات (الجرائد) فهموني ووعدوني أنهم يذكرون الكتاب ذكرا جميلا ». [1]

كما إعتمد عليه خير الدين (على الجنرال حسين الجركسي)في الترجمة الإنجليزية بعد ترجمته للفرنسية ، وكان ينوي ترجمة الكتاب أيضا إلى الفارسية بعد أن طلب منه ذلك سفير إيران بباريس فلم يمنع خير الدين في ذلك .[2]

وقد تولى ترجمته الي الفارسية سعادي أفندي الذي شرع في نشر أجزاء منه في جريدته الصادرة بلندن باللغات العربية والتركية والفارسية ، ويذكر أن المكتبة الإسكندرية اقتنت منه خمسين نسخة ،ووقع نشره في حلقات من جريدة الجوانب لصاحبها أحمد فارس الشدياق. [3]

ويظهر لنا هذا إهتمام خير الدين بترجمة كتابه إلى العديد من لغات العالم ،حتى يلقى رواجا وصدى في العالم ويعرف بالحضارة الإسلامية والعربية وكذا بأفكاره الإصلاحية[4]، وحتى يزول ما علق بأذهان الأوروبيين من آراء مخطئة عن الإسلام بسبب انتشار الجهل والاستبداد وضعف الدول الإسلامية في ذلك العصر. [5]

1 – الظروف التي عاصرها خير الدين أثناء كتابه مؤفه :

كانت أحوال تونس أثناء إنعزال خير الدين في كتابة أفكاره تتخبط في الأزمات والمتمثلة في :

غرق البلاد في المديونية حيث إستندت من السوق العالمية،وكان"ERLANGER" المغامر في الأمور المالية وشريك الوزير الأول مصطفى خزندار أكبر صانع ل ((القروض التونسية))والتي لم تكن تعود بالفائدة إلا على المفوضين التونسيين ومزودي الحكومة وقلما كانت لصالح الدولة ،وبذلك خضعت البلاد لوصاية اللجنة المالية العالمية في سنة 1869م[6] ، مما أجبر هذا الوضع الباي بإصدار عهد

---

[1]أحمد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 28.

[2]نفسه ، ص 29.

[3]خير الدين التونسي : المذكرات، ص ص 13 14.

[4]أحمد عب السلام ، المرجع السابق ، ص 27.

[5]نفسه ، ص 28.

[6]محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ،ص ص 97 –98.

الأمان سنة 1857م ،ثم الدستور عام 1861م بعد ضغط الدول الأوروبية عليه لحماية رعاياها في الإيالة التونسية .[1]

قيام ثورة شعبية بقيادة علي بن غداهم 1864 عرفت باسم قائدها وهو علي بن غداهم (باي الشعب) بسبب مضاعفة الضرائب التي كانت بمثابة تعجيز بالنسبة للأهالي والمزارعين الصغار ،ومما زاده الأمر سوءا أن أحد المتصرفين ويدعى نسيم شمامة إستغلالإضطراب الحاصل ليهرب بجزء من خزينة الدولة[2]، هذه الثورة 1864 جعلت نظام الباي على حافة الهاوية والقوات البحرية الأوروبية على أهبة الإستعداد للتدخل في البلاد[3] ، إلا أنها أخمدت سنة 1866 وألقي القبض على قائدها حيث كادت أن تغرق البلاد في وحل الحرب الأهلية [4].

ما كادت البلاد تتخلص من هاته الفوضى حتى إنتشر في فصل الشتاء بين الاهالي مرض الكوليرا والحمى التيفوسية ، فانتشرت المجاعة والقحط وهلك الآلاف ،وبذلك توقف الإنتاج الزراعي والصناعي للبلاد ومات عدد لا يحصى من الأهالي .[5]

2-*أسباب التأليف :*

أجبر خير الدين على مقاومة على جبهتين في الداخل والخارج ، الأولى في محاولة التصدي للدول الأوروبية الطامعة في تونس ، والثانية في مواجهة المعارضة الداخلية للإصلاح وما صاحبها من مظاهر التخلف والإنحطاط في المجتمع لتونسي ،وهذا ما دفعه لكتابة خلاصة أفكاره في كتابه «**أقوم المسالك**» .

حاول خير الدين من خلال مؤلفه معرفة أحوال الممالك و أن يوضح العوامل التي يمكن أن تصلح من شأن الأمم الإسلامية بالمقابلة مع ما تم في دول أوروبا فيقول حرفيا نقلا عن محمد محفوظ :«إن الباحث الأصلي على ذلك أمران آيلان إلى مقصد واحد إحداهما إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة الإسلامية وتنمية أسباب

---

[1] محمد العزيز الشناوي ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،مكتبة الأنجلو المصرية ،مصر ، 2005،ج4 ، ص ص 36- 37.

[2] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ،تق محمد الحداد ، دار الكتاب المصري –القاهرة –اللبناني –بيروت 2012 ،مكتبة الإسكندرية ،ص 37.

[3] محمد محفوظ ، المرجع السابق ، ص 273.

[4] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، ص 36.

[5] خليل مروم بك، أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والإجتماع ،لجنة التراث العربي ،ط1 –بيروت –لبنان –1971م ،ص ص 272-273.

تمدنها ، بمثل توسيع دوائر العلوم والعرفان وتمهيد طرق الثورة من الزراعة والتجارة وترويج سائر الصناعات ، ونفي أسباب البطالة وأساس جميع ذلك حسن الإمارة المتولد ،منه الأمن ،الأمل ، إتقان العمل المشاهد في الممالك بالعيان وليس بعدة بيان .ثانيهما تحذير ذوي الغفلات من عوام المسلمين عند تماديهم في الأعراض عما يحمد من سيرة الغيرة الموافقة لشرعنا بمجرد ما انتقش في عقولهم من أن جميع ما عليه غير المسلم من السيروالتراتيب ينبغي أن يجهرواتآليفهم في ذلك يجب أن تتبذولاتذكر .حتى إنهم يشدون الإنكار على من يستحسن شيئا منها ،وهذا على إطلاقه خطأ محض .فأن الأمر إذا كان صادرا من غيرنا وكان صوابا وموافقا للأدلة ،لا سيما إذا كنا عليه وأخذ من أيدينا ، فلا وجه لإنكاره وإهماله بل الواجب الحرص على إسترجاعه وإستعماله ».[1]

تأثر خير الدين بالنهضة الأوروبية ،وذلك راجع لتكوينه التعلمي والثقافي وإتقانه لعدة لغات أجنبية بالإضافة إلى رحلات المتعددة إلى مختلف العواصم الأوروبية مع الإشارة إلى أنه قد أقام بباريس لمدة أربع سنوات (1853/1857)والتي أكسب فيها عن قرب مظاهر النهضة الشاملة التي عرفتها فرنسا ولعل الأمر الأهم إعجابه بالنظام السياسي الذي يقوم على المؤسسات الدستورية[2]،واستغل تلك الزيادات في دراسة أسس الحضارة الغربية ومؤسساتها المختلفة ليستخلص من تلك الدراسة العناصر الأساسية لكتابته . [3]

تأثر خير الدين بأفكار المصلحين الذين عاصرهم ،ومنهم محمد بن عبد الوهاب الذي أثر عليه في دراسته وتكوينه الفكري ، وإدراك مشكلات المسلمين وقضايا العالم الإسلامي [4] ، وكذا مطالعته للمؤلفات السياسية المترجمة في مصر عن الفرنسية بإشراف رفاعة الطهطاوي والموجودة في مكتبة المدرسة الحربية بباردو ، ومؤلفات خاصة بتاريخ المجتمع الإسلامي ، ومؤلفات خاصة بتاريخ الغرب [5] ، وكذا معرفة فلسفة الدولة عند إبن خلدون ومناقشاته مع أساتذة المدرسة الحربية بباردو ،واتصالاته مع المصلحين العثمانيين[6]، والمصلحين التونسيين أمثال أحمد بن أبي الضياف

---

[1] نقولا زيادة ، أعلام عرب محدثون ، ص 79.

[2] حبيب حسن اللولب ، المرجع السابق ،ص 45.

[3] الصادق الزمرلي ، المرجع السابق ، ص 100.

[4] عمرعبد العزيز عمر ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،2007م، ص 94.

[5] محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين ،ج 2، ص 273.

[6] صلاح زكي أحمد ، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، مركز الحضارة العربية ،ط1 ، القاهرة –مصر ،2001 ،ص ص 30 –32 .

الضياف وسالم بوحاجب وبيرم الخامس حول الإصلاحات الضرورية للبلدان الإسلامية [1] وكذا رشيد رضا والكواكبي وشكيب أرسلان ، ورفاعة الطهطاوي.[2]

التخلف والتأخر الذي أصاب تونس في فجر القرن 19م ميلادي لأسباب عدة منها :

- التسرب الأوروبي في تونس ،خاصة في المصانع التقليدية المحلية وسعى لفهم شاكلها وتصور حلولها.
- الهيمنة الفرنسية على الإقتصاد التونسي بحكم الإمتيازات التي يرجع أصلها سنة 1605م وبحكم معاهدة 1802م ، التي تمنح فرنسا حضوة أكبر من غيرها في التجارة مع تونس .
- التبذير والصرف من قبل الباي الذي أفرغ خزينة الدولة مما جعل البلاد تتخبط في الإفلاس والمجاعة[3] والذي كان يحمل البايات على إنتهاج هاته السياسة مصطفى خزندار ،ففي نظامه وقعت مضاعفة الضرائب عشوائيا[4] (تراكم الديون على الدولة ومطالبة فرنسا بديونها)

تأثره أيضا بالثورة الفرنسية وبشعاراتها ،حيث أصبح خير الدين يحاول أن يجد في الأفكار الأوروبية الجديدة مرجعية لها في التاريخ الإسلامي [5]، كما نلمس في خير الدين محاولة واعية لمحاكاة نظيره التونسي إبن خلدون الذي عالج في مقدمة تاريخه الشهير أسباب التخلف والإنحطاط التي يعتبرها البعض الأساس الذي قام عليه علم الإجتماع الحديث وكان المفكرون الإسلاميون على يقين من أهمية الإطار التاريخي في تحليل أسباب إزدهار الأمم وإنحطاطها ، وليس ثم شك في المنهج الذي إتبعه خير الدين أكثر ملائمة للفكر العصري لأنه يدخل في نطاق الإطار التاريخي فيصبح ذا معنى.[6]

---

[1] سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، ص 14.

[2] محد بوذينة ، المرجع السابق ، ص 09 .

[3] إسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ العالم العربي المعاصر . ص ص 143- 144.

[4] محمود شاكر ،المرجع السابق ، ص 122.

[5] سيار الجميل ، تكوين العرب الحديث ، دار الشروق –الأردن ،1997، ص 502.

[6] محمد بوذينة، المرجع السابق ، ص 10.

حاول أن يرد من خلال كتابه أقوم المسالك على حجج بعض المحافظين الشرقيين الذين سيرفضون الأخذ بالإصلاح على الطريقة الغربية سواء لإدعائهم بأن هذا الطريق مخالف للشريعة أو لإدعائهم بأنه لا يتناسب مع الأمم الشرقية وأكد على ضرورة الإقبال على معارف وعلوم أوروبا الحديثة ،علما أنه ليس كل ما صدر عن أوروبا حرام ،فلا نهضة ترتجىبغير الاقدام عليها والخروج من عزلة القرون الوسطى .[1]

التحذير من خطر الإستعمار الأوروبي وتحدد بصورة حاسمة أن سلوكنا لطريق النهضة هو السد المنيع ضد هذا الخطر ، ومن هنا فإن الفكرة الدفاعية له إلى كتابة أفكاره هي أنه ينبغي أن نقلد أوروبا في كل ما نستطيع وكل ما يفيدنا خاصة في الأمور السياسية والعلمية . [2]

ومن الأسباب الداعية لقيام خير الدين بتأليف كتابه هو معارضته للباي وخزندار في تطبيق السياسة الإقتصادية التي أدت إلى الأزمة المالية .

2-محتوى الكتاب وأهميته :

من بين الكتابات المعبرة عن النظرية الإصلاحية نجد في تونس كتاب «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك »صدر سنة 1867 كما صدرت ترجمة مقدمته إلى الفرنسية سنة 1868 ، تحت إشراف خير الدين باشا التونسي بعد سنة من صدور الكتاب بتونس ، أما عنوانه بالفرنسية :

Reformes necessaires aux etetesmuslmans .Essaiformamt la1ere partie de l'auvragepolitique et statistiqueintilule .«la plus sure dilection pour comaitrel'etat des mation».

وترجم هذا العنوان «الإصلاحات الضرورية للدول الإسلامية » ... وصدرت مقدمة الكتاب بالعربية باسطنبول سنة 1876م أي بعد سبع سنوات من صدوره بتونس وذلك بطلب من القراء[3]

[1] سمير أبو حمدان، المرجع السابق ، ص 61.

[2] صلاح زكي أحمد ، المرجع السابق ، ص 34.

[3] أحمد الطويلي، رواد الإصلاح في العالم الإسلامي ،الدراسات والبحوث الإقتصادية و الإجتماعية ، بتونس ،2001، ص 50.

أما الترجمة التركية فقد صدرت سنة 1878 وهي السنة التي تم تعيينه فيها باصدر أعظم بالإستانة[1] بينما الطبعة الإنجليزية للمقدمة فقد صدرت بقلم ليون كارل براون تحت عنوان :

the surest pqth .the politicqltrestise of q 19 th century muslimstatesmas .by khayaradinaltunsi.

وصدرت طبعات للمقدمة بتونس ومصر ولبنان وأعيد طبع الكتاب كاملا بتونس عن بيت الحكمة بقرطاج. [2]

عرف خير الدين التونسي أقوم المسالك ...[3] بأنه بحث في أسباب التقدم والتأخر للأمة الإسلامية وإستوحي مضمونه من مصادر ثلاثة تجربته السياسية ومطالعته في التاريخ السياسي والإقتصادي وجغرافية العالم ومشاهدته أثناء الرحلات التي قام بها لأوروبا[4]، حيث يحتوي المؤلف على خطبة ومقدمة وكتابين تناول في خطبة الكتاب زبدة معارفه وخلاصة نظرته حول نشوء الممالك وزالها ، وحول أسباب رقيها وإنحطاطها والمسار الذي ترسمه هاته الممالك لنفسها سواء لجهة النشوء أو الأفول ، كما وضح في خطبته ضرورة الأخذ عن الغرب الأوروبي لما ينفع الأمة الإسلامية ، ثم يعرج في ثنايا حديثه عن إعراض رجال الدين والسياسة عن هذا المطلب[5] ، كما نلمس بعدها مقاصد خير الدين باشا ومنهجه ، يمكن تلخيصها في نقاط :

- تذكير العلماء في مدى إستفادتهم من تجارب الأمم .
- إيقاظ الغافلين من رجال السياسة وسائر الناس العوام منهم والخواص أن العالم في تطور ونحن مازلنا على نفس الحال ، ولايمكننا فعل شيئ إلا بمعرفة أحوال الأوروبيين.
- دمج وجمع المعارف والعلوم و التجارب والتنظيمات الأوروبية في كتابه ،وذلك حتى تستفيد الأمة في تطورها ورقيها .[6]

---

[1] من مقدمة كتاب أقوم المسالك ، ص 48 .

[2] أحمد الطويلي ، المرجعنفسه ، ص 59.

[3] –الملحق رقم (13)، صورة تبين نموذج محتوى كتاب خير الدين أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك.

[4] من مقدمة كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ، ص 45.

[5] محمد بيرم الخامس، المصدر السابق ، 36.

[6] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك .في معرفة احوال الممالك ، ص ص 02-05.

أما مقدمة الكتاب وهي الأهم فهي تحتوي على السبب الداعي للتأليف ويلخصه في نقطتين الأولى إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس مايمكنهم من الوسائل المواصلة لرقي الأمةالإسلامية ، أما الثاني فهو تحذير المسلمين الذين يتمادون في الإعراض عن الأخذ من الغرب من فعل ذلك ، واحتوت كذلك على عدة أفكار يمكن تلخيصها في نقاط وهي : الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أين وجدها وأن الصواب يقبل ويتبع سواء كان صاحبه من أهل الحق أو من غيرهم ، فليس بالرجال يعرف الحق بل بالحق تعرف الرجال[1] كما تناول في مقدمة كتابه حججه العقلية التي تدافع عن الاستفادة من المؤسسات السياسية الغربية .

كما أن برنامج خير الدين يندرج ضمن ثلاث محاور أساسية :

1-الاعتقاد الجازم بأن الحرية شرط العمران ، وفي المقابل فإن الظلم ملازم لخراب العمران .

2-الإيمان الصريح بعدم التعارض بين الإسلام والحياة العصرية أو بين العقل والنقل.

3-التسليم بحتمية التطور وضرورة الخروج من التخلف والدخول في الحداثة. [2]

عكست هذه المقدمة إصلاحات العالم الإسلامي عموما و تونس[3] كما إهتم مؤلفها بسياسة السلطنة العثمانية وحرصه على المساهمة في حل مشاكلها بإبتداء الرأي والدعوة إلى مايراه صالحا و موافقا للعدل والإعتدال . [4]

ثم يلي المقدمة بابان هما :التمدن الأوروبي وتلخيص المكتشفات والمخترعات ولقد تطرق في التمدن الأوروبي أسباب الإنحطاط بأوروبا في العصور الوسطى وأسباب تقدمها في عصر النهضة كما عرج في كل قرن أهم العلماء الذين ظهروا آنذاك بداية من القرن 11 إلى القرن 18ميلاديين.[5]ليدخل في الباب الثاني المكتشفات والمخترعات ،حيث لخص لنا أهم الاختراعات

---

[1]أحمد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 377.

[2]معن زيادة ،الحل السياسي عند رواد النهضة ،في ملتقى الإصلاح والمجتمع المغربي، جامعة محمد الخامس ،المغرب ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،1986،ص 127.

[3]أحمد الطويلي،المرجع السابق ، ص60.

[4]أحمد عبد السلام ، نفسه ، ص 357.

[5]خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص ص 51 -60.

الأوروبية التي تم اكتشافها من القرن 14 إلى 18 ، ومنها الآلة البخارية وآلة الذنب والطيران ومكتشفات أخرى...

ثم يؤكد لنا خير الدين إلى الحديث عن التعليم في أوروبا وإبراز مناهجه ، الذي كان بسبب تطور التعليم لديهم هو كثرة المكتبات التي اشتهروا بها ، ليشير خير الدين إلى الجانب السياسي من حياة الأوروبيين ،القائمة على تهذيب أبناء العائلة المالكة وتمتع الرعايا بالحرية كما شرحها خير الدين وعمل الوزراء والمجالس ، هذا الجانب أدى لازدهارهااقتصاديا وظهور الشركات والبنوك الأوروبية .[1]

أما عن الكتاب كما سماه خير الدين فهما كتابان الأول كتاب دول أوروبا يحوي عشرون بابا يدرسفي كل باب دولة نذكرها حسب الترتيب بداية بالدولة العثمانية ثم الممالك مملكة فرنسا وايطاليا واسبانياوالسويد والنرويج والمملكة الجرمانية وانجلترا و النمسا وروسيا وبروسيا والبرتغال وسويسرا والباب والفورواِمارة بادن الكبيرة وأخيرا مملكة الإغريق .درس كل دولة من الناحية التاريخية لها ووصفها ويذكر قوانينها وأحكامها السياسية وقوتها العسكرية والمالية. [2]

أما الكتاب الثاني والذي جاء بعنوان الكلام على أقسام الكرة وبه ستة أبواب وهو عبارة عن وصف للدولة والقارات وصفا جغرافيا ، تناول في أبوابه الستة قارة أوروبا ثم تحدث عن آسيا ليعرج إلى إفريقيا وبعدها أمريكا ثم جزر الأوقيانوس وأقسام البحر[3] كما ذيل الكتاب في الأخير بالتقارير[4] التي أرسلت لخير الدين عندما صدر كتابه كانت من قبل المفكرين أهمهم أحمد بن أبي الضياف ومحمد الباجي المسعودي وسالم بوحاجب ومحمد بيرم وغيرهم كثير. [5]

- **أهميته :**

يعتبر كتاب أقوم المسالك من أهمالكتب التي حللت أوضاع العالم الإسلامي في ق 19 وأهم شيئ فيه هي مقدمته التي إشتملت على آراء ثوريةخطيرة بالنسبة لتلك الفترة ، إذ كانت برنامجا

[1] –نفسه ، ص ص 61–88.

[2] نفسه ، ص 90.

[3] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 90.

[4] الملحق رقم (14) :صورة تبين تقارير من كتاب أقوم المسالك لخير الدين التونسي

[5] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص 349.

إصلاحيا يهدف إلى تغيير أوضاع «الرجل المريض»وظهورها على ذلك الشكل يزيدها أهمية بالغة وقيمة عظيمة[1] .كما يعتبر من الكتب التي ساهمت بشكل كبير في إيقاظ الشعور بالتجديد والتحديث داخل المجتمعات العربية.[2]

ونظرا لمكانة خير الدين في الشرق ، و لإطلاع المثقفين من المشارقة على كتابه فقد قرروا ترجمته وذكره في مؤلفاته ، فمثلا تم ذكره في كتاب الأعلام للزركلي وفي كتاب زعماء الإصلاح لأحمد أمين ونلاحظ أن هذا الإهتمام بخير لدين ، يؤكد على أهمية الدور الذي لعبه خير الدين لتونسي في مجال الإصلاح ، وبث روح التجديد والتحديث في العالم الإسلامي المتخلف آنذاك. [3]

المبحث الثاني عوامل ظهور الحركة الإصلاحية السياسية في تونس خلال القرن 19م وخصائصها.

1 – عوامل ظهور الحركة الاصلاحية في تونس :

تعود أصول الحركة الإصلاحية إلى تعاليم الإسلام نفسه كما يرى الكثير من المفكرين أن حركة **الإصلاح**[4] الحديثة جاءت كرد فعل على الغرب وتفكيرهم فلما رأى المسلمون ماحل بهم من نكبات بسب تقدم أوروبا عليهم بعلومها وأنظمتها الحديثة اقتنعوا بأنه لابد من تقليد الغرب في علومه وأنظمته التي تنهض به[5] فالإصلاح مرتبط بأسباب إجتماعية وسياسية[6]، فكانت وراء حركة الإصلاح السياسي التي ابتدأت في القرن 19م عوامل عدة نذكر منها :

تعد تونس من أوائل البلدان الإسلامية التي إنخرطت في المد الإصلاحي في هذا القرن أسوة بالبلدان الغربية، بهدف الخروج من التخلف والانحطاط للنهوض بنفسها ولضمان إستقلالها وسيادتها

---

[1]رشيد الذوادي ، المرجع السابق ،ص 38.

[2]سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ،ص 85.

[3]أحمد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص ص 6-7.

[4]**الإصلاح** :يعني به هو إصلاح الشيئ الذي فسد بعضه ورم بالأمر إصلاحه بعد إنتشاره ،رممت الشيئ أصلحته ، والرم إصلاح ما فسد واسترم دعا إلى إصلاحه ؛ **ينظر** :محمد بريش ، مفهوم الإصلاح أونحو إصلاح لفهم المصطلح ،مركز الحضارة الإسلامية ، (د.ط)، القاهرة ، 2007م ، ص 02 وللمزيد ورد اللفظ (الإصلاح) في القرآن الكريم بكثرة في سورة هود ص 88 و النساء ص411 و الأعراف ص 241.

[5]عبد الكريم بوصفصاف، الفكر الحديث والمعاصر –محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا ،ط1،دار مداد ،قسنطينة –الجزائر ،2009، ص 271.

[6]فريد حاجي ، المرجع السابق ، ص ص 113-114.

ففرض عليها التفتح على الحضارة الغربية والإقتداء بنمط نموها والأخذ بمناهجها في التعليم والتنظيمات السياسية.[1]

و ما ساعد أيضا على بروز محاولات الإصلاح الأولى في تونس تدهور الأوضاع العامة من خلال هذا القرن[2] كما سبق أن أشرنا إليه من قبل، بالإضافة الى إحساس حكام تونس بالأخطار المباشرة لطرابلس الغرب .[3]

يعتبر كذلك وجود القناصل والجاليات الأوروبية في تونسعامل من عوامل ظهور الإصلاح حيث كانوا يضغطون على البايات إلى حد التهديد بالعدوان المسلح في حال عدم تنفيذهم للإصلاحات، وذلك حفاظا على مصالحهم .[4]

دعوة رجال الإصلاح التونسيين إلى ضرورة الأخذ بأسباب النهضة والتقدم واقتباس العلوم الحديثة من الدول الغربية المتقدمة وإصلاح نظام الحكم السياسي ،أسوة بالدولة العثمانية وإنطلاقها من التراث الإسلامي الأصيل ومن بين هؤلاء **الشيخ محمد قابادو**[5]والذي يرى أنه لا سبيل إلى النهوض بالعالم الإسلامي إلا بالإقتداء بالدول الغربية . [6]

حملة نابليون بونابرت على مصر (1798–1801)هذه الأخيرة ساهمت إلى حد كبير في النهضة الفكرية في مصر خاصة والعالم الإسلامي عامة[7]، بالإضافة الى الأثر الكبير لتجربة محمد علي في مصر وما حققته من تطور وقوة التي أصبحت نموذجا يقتدى به في البلدان العربية الإسلامية . [8]

---

[1]حبيب حسن اللولب ، المرجع السابق ، ص 31.

[2]نفسه ، ص ص 31 – 32.

[3]– رشاد الإمام ، التفكير الإصلاحي في تونس فيالقرن التاسع عشر إلى صدور عهد الأمان ،ط1 ،دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس ، 2010، ص27.

[4]رشاد الإمام ، المرجع السابق ، ص ص 23–27.

[5]**محمد قابادو (1815–1871)**:من أبرز علماء جامع الزيتونة تميز بتفوقه في اللغة العربية والآداب والعلوم الأخرى ،لديه موهبة شعرية جعلته من كبار الشعراء التونسيين في العهد الحسيني ،شغل مدرس بمدرسة باردو ... ؛**ينظر**:حمادى الساحلي ، المرجع السابق، ص 70 ؛ وللمزيد **ينظر** :الفاضل بن عاشور ، أعلام الفكر و أركان النهضة بالمغرب العربي ،المرجع السابق ،ص 70.

[6]حمادى الساحلي ،المرجع نفسه ، ص 72.

[7]عبد الرحمن الرافعي بك، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ،ط1 ،مطبعة النهضة ،مصر –1929،ج1، ص 113.

[8]حبيب حسن اللولب ، المرجع السابق ، ص 32.

التأثر بإصلاحات الدولة العثمانية والتي شملت العديد من محالات الإصلاح لنظامها ومؤسستها الإدارية والسياسية والإقتصاديةوالإجتماعية وفق الأسس والأساليب الغربية الحديثة[1] ، ومن أبرز وأهم التنظيمات الخيرية التي أصدرها السلطان عبد المجيد خاصة في الجانب المدني و الإداري ما بين عامي (1839/1878) نذكر:

خط شريف كلخانة : والذي أعلن عنه في حديقة كلخانة ،وفي جو حافل بالصلوات وضرب المدافع ، وكان هذا الموسم الذي يبدأ به السلطان عهده عبارة عن وعد بإدخالالإلتزام ، وشكل مجلسا للأحكام القانونية ومجلسا للتجارة ،و أصدر قانونا جديدا للعقوبات أي أنه شمل إحترام الحريات العامة والممتلكات بغض النظر عن المعتقدات الدينية والعنصرية ومساواة الجميع أمام القانون ،وعدم عقاب أي مذنب دون محاكمة ، والقضاء على الرشوة وتنظيم الضرائب وتوزيعها بصورة عادلة على السكان . [2]

خط همايون1856: نصحت بريطاني وفرنسا (بسبب خشيتهم من إزدياد النفوذ الروسي في البحر المتوسط ، السلطان عبد المجيد بضرورة متابعة الإصلاحات فأصدر برنامج إصلاحي سمي همايون أكد فيه على المساواة التامة بين المواطنين أمام القانون دون تمييز[3]، ومما جاء فيه :

- إقرار إمتيازات الطوائف غير الإسلامية والسماح لها بممارسة شعائرها الدينية وبناء معابدها ومنع إستعمال الألفاظ التي تحط من قيمة أهل الذمة .[4]
- إفساح المجال أمام كافة رعايا الدولة المساهمة في خدمة الدولة عن طريق تعيينهم في الوظائف واستفادتهم من خدمات الدولة العثمانية .
- إنشاء محاكم مختلفة للفصل في القضايا المدنية والجنائية . [5]

---

[1]هيثم محي طالب الجبوري؛ زينب حسن الجوري :«أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر »مجلة جامعة بابل .م24 ،ع3 ،2015.

[2]جلال يحي ، المرجع السابق ، ص ص 189-190.

[3]نفسه ، ص 190.

[4]نفسه ، ص 191.

[5]محمد عبد الله عودة ؛ إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث ،الأهلية للنشر والتوزيع ، (د . ب) ، (د.ت)،ص 118.

وبالتالي كل هذه العوامل سالفة الذكر كانت حافزا على الإصلاح لخلق قوة قادرة على حماية البلاد من الضعف والإنحطاط ولضمان إستقلالها .

2 – خصائص الحركة الاصلاحية في تونس :

برزت ونمت حركة إصلاحية في تونس خلال القرن 19م و هدفت إلى إعادة القوة إلى الدولة الحسينية السائرة لطريق السقوط والإنهيار ،ولإعادة الروح إلى المجتمع المفكك والمشتت القوى[1]، ولهذا أخذ التيار الإصلاحي في تونس في ذلك العصر ومنذ بدايته طابعا وطنيا ،حيث كان هدف رجال الإصلاح الوقوف في وجه المشروع الإستعماري ،مما جعلهم أحد مراجع لأغلبية الذين إنخرطو في حركة المقاومة والعمل الوطني بعد إنتصاب الحماية الفرنسية في تونس فالحركة الإصلاحية لم تكن دعوة دينية وفقهية أو فكرية مجردة أومقتصرة على شؤون الطقوس أو الدين أو الثقافة بل إنها كانت من نبع الواقع الذي تعاملوا معه بوعي والتزام ، رغم صعوبة المهمة والظروف المزريةالمناطة بعدتهم.[2]

الحركة الإصلاحية تميزت بإتحاد السيف والقلم من أجل خوض معركة الإصلاح وخاصة الجانب السياسي منه كمقدمة ضرورية له ،لكن ذلك الإتحاد لم يفلح في قهر خصوم من محافظين ورجعيين أو عملاء للمصالح الأجنبية ومناورين أوروبيين كانوا يمهدون للإستلاءالإستعماري على البلاد ،فالنخبة كانت مترددة منقسمة ، وسلطة الباي متهاونة ومنخورة القوى ، وعامة الشعب كانت في غيبوبة تاريخية عميقة[3]، كما لم يقف رواد الإصلاح عند الإصلاح فحسب بل إنخرطوا في العمل السياسي لتطبيق أفكارهم وقد برز ذلك في حالة المفكر الإصلاحي خير الدين التونسي . [4]

[1] زهير الذوادي ،الإستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية الوطنية التونسية، ط1 ،الأطلعية للنشر ، (د.ب) ، 2006 ، ص05.

[2] نفسه ، ص ص 05-06.

[3] نفسه ، ص 06.

[4] محمد حداد ، المرجع السابق ، ص 97.

أظهر القطب الإصلاحي خلال الثلث الأخير من القرن 19م مواطن ضعف عجلت في تراكم أسباب هزيمته السياسية ،كونه لم يواجه بعزم صلب مواقع خصومه ،ولم يعمل على إزاحتها فعليا من المواقع السياسية والإدارية والإجتماعية التي كانت تحتلها.[1]

إن رموز الفساد ومناهضة مشروع الإصلاح خاصة مصطفى خزندار (صهر خير الدين) ومصطفى بن اسماعيل ، لم يبتعدوا عن مراكز القرار الأولى في دولة أحمد باي وخاصة الصادق باي مما جعل قدراتهم على الإضرار والإفساد لسيلسة خير الدين باشا وأنصاره كبيرة وناجعة إلى حد ما في البداية حتى الوصول إلى القضاء عليهما في النهاية.[2]

فلم يشكل التيار الإصلاحي التونسي خلال القرن 19م حركة سياسية وفكرية مستقلة محددة الأهداف بل كان مكونا من شخصيات مترابطة ومتضامنةنسبيا دون أن تكون في مستوى هيكلة وتنسيق عملي أو تنظيمي أو سياسي يوفر لها نجاعة ميدانية أو حصانة أمنية ،كذلك بقي التيار الإصلاحي مشتت الجهود والأعمال بالرغم من التعاطف والتوافق الذي يظهر من حين إلى آخر بين أتباعه البارزين .[3]

كان خير الدين مصلحا إجتماعيا وسياسيا من جنس مدحت باشا غير أن الفرق بينهما كالفرق بين السيد جمال الدين الأفغاني والشخ محمد عبده ،فمدحت باشا يصلح ،فان عجزت عن الإصلاح ثار ودبر الإنقلاب وخير الدين يصلح فإن عجزعن الإصلاح رفع يديه إلى السماء وقال «اللهم إني قد بلغت » .[4]

بدأ خير الدين يبرز كزعيم للقطب الإصلاحي بالنسبة للنخبة الإدارية و الفكرية والسياسية في الفترة التي إعتزل فيها العمل السياسي لينكب لكتابة مؤلفه الشهير أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك .[5]

---

[1] زهير الذوادي ، المرجع السابق ، ص 07.

[2] نفسه ، ص 07.

[3] نفسه ، ص 127.

[4] محمد الحداد ، المرجع السابق ،ص ص 91 -92.

[5] زهير الذوادي ، المرجع السابق ، ص 127

تزعم خير الدين التيار الإصلاحي وأصبح رمزا لمنهجه وقد تجاوب المشير أحمد باي مع هذا التيار الملتف حول خير الدين إلا أن الإصلاح تعثر في بداية محمد باي وتراجع نفوذ أنصاره وإنتشر الفساد والتواطئ مع الأوساط الأوروبية الإستعمارية .

أصبح خير الدين القطب المؤثر على الحياة السياسية والفكرية مدعوما في ذلك بفريق من أرباب القلم مثل أحمد بن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس ،وسالم بوحاجب ومن أرباب السيف مثل الجنرال حسين . [1]

كان خير الدينرجل دولة وصاحب مشروع سياسي مستند إلى ارضية فكرية لكن ممارسة برنامجه السياسي خلال الفترة التي قضاها في الوزارة تخللتها أزمات وتناقضات ومناورات معادية له شخصيا خاصة وللمصالح الوطنية عامة مما جعله غير قادر على تنفيذ مارسمه من أهداف وتطبيق أفكاره الإصلاحية . [2]

كانت الحركة الإصلاحية في تونس متزامنة لما جاء في بلدان عربية و إسلامية أخرى كالمغرب ومصر.[3]

المبحث الثالث محاولات الإصلاح السياسي في تونس.

أدركت سلطة البايات حجم الخطر الذي يلاحقها وأن إستقلالها أصبح مهددا أما لهفة الدول الأوروبية وتنامي الأطماع في ضم اكبر عدد من مستعمرات شمال إفريقيا فلجأ البايات لتأجيل إحتلال بلادهم الذي كان حتميا ،ورفعوا شعار الإصلاح كسبيل للحفاظ على إستقلال البلاد وأمنها ،فما هي أهم الإصلاحات السياسية التي عرفتهاتونس خلال القرن19م؟

[1] نفسه ، 131-132.

[2] نفسه ، ص 133.

[3] هشام شرابي ،المرجع السابق ، ص 38.

في أوائل القرن 19م بدأت تونس تستيقظ متدرجة نحو طريق النهضةالعصرية[1] وتعاقب على الحكم في هذه الفترة ثلاث بايات هم المشير :**أحمد باي**[2] **(1837/1855)**، **محمد باي** (1855/1859)[3]، **محمد الصادق باي** (1859/1881) ، وهنا بدأت محاولات الإصلاح والتحديث .

تعتبر إصلاحات أحمد باشا تقليد لما أنجزه محمد علي بمصر ومحمود الثاني بتركيا فقد أولى هذا الباي منذ توليه الحكم سنة 1837 إهتماما فائقا بالمسألة العسكرية[4]، حيث وجد في ولاية أبيه إبتداء تنظيم العسكر النظامي واعتنى هو بهم[5] ، إذا أكثر من عدد الجند النظامي ومن عدته الحربية حتى أرهق مالية البلاد وكاد أن يؤدي بها إلى الإفلاس.[6]

كما أوحى الباي من قبل القناصل والتجار الأوروبيين في بناء مصانع عصرية مثل مصنع البارود والمدافع ومصنع الأحذية ومعمل النسيج ...الخ إلا أن معظم هذه المنشآت قد منيت بالفشل لعدم تماشي التكنولوجيا العصرية مع الوضع الإجتماعي .[7]

كما فكر في اصلاح أوضاع جامع الزيتونة وإدخال تعليم عصري إلى البلاد (تونس) وبذلك تضيف الأسرة مجدا جديدا إلى امجادها[8]، فأسس سنة 1840مدرسة عصريةفي باردو تتمثل مهمتها في تخريج الضباط والمهندسين والفنيين ،دعيت باسم «**مكتب المهندسين** » أو مكتب

---

[1]الحبيب ثامر ، المصدر السابق ، ص 22.

[2]**أحمد باي** :ولد في 2ديسمبر1806من أم جارية رباه والده ،تعلم اللغة التركية والإيطالية ، بويع في 1837/10/10؛**ينظر**:إبن أبي الضياف ، المصدر السابق ،ج 4 ،ص 11.

[3]**محمد باي** :ولد في أوت ،سبتمبر 1811 أمه حفيدة عثمان باي تعلم القرآن ،لم يهتم والده بتثقيفه كان أقرب إلى الامية بويع إثر وفات ابن عمه أحمد باشا ؛**ينظر**: ابن أبي الضياف ، المصدر نفسه ، ص 185.

[4]محمد الهادي الشريف ، مشكلة الإصلاحات التونسية وارتباطها بمسألة لعلاقات التونسية العثمانية حوالي 1840 في الإصلاح و المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،جامعة محمد الخامس المملكة المغربية أيام الدراسة من 6إلى 9 رجب 1404هـ الموافق ل 20الى 23 أبريل 1983 ،ص 137.

[5]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ، ص 122.

[6]محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 137.

[7]محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص 137.

[8]نقولا زيادة ،أعلام عرب ، المرجع السابق ، ص 58.

العلوم الحربية [1]و أحضر لها أساتذة أجانب من إيطاليا وانجلترا وفرنسا حيث أخرجت من هذه المدرسة نواة المجموعة الإصلاحية التونسية التي ستؤازر خير الدين في عمله في فترة لاحقة.[2]

بالإضافة إلى تأسيس **مكتبة الأحمدية** سنة 1840[3] كما أصدر في جانفي 1846 قانونا ينص على تحرير الإنسان من العبودية **(قانون إلغاء الرق)**وفي نفس السنة قام أحمد باي بزيارة رسمية إلى فرنسا[4] ، وبعودته شرع في بناء قصره الشهير بالمحمدية الذي قلد في جانب منه قصر قصر فرساي الفرنسي .[5]

وقد اعتبرت نهضة تونس أيام أحمد باي النهضة الثانية بالعصر الحسيني ،إذ بها إستدرك المشير أحمد باي الأول ما درج عليه سلفه من الإنتصار ،ويذكر لنا محمد بيرم الخامس مآثر هذا الباي فيقول :«**ومع ما تقدم فأحمد باشا[6] مدة صحته لم يستبد عليه وزير ،وله مآثر حسنة في القطر أهمها إحياء العلم بعد أن كاد يندثر ،فرتب في جامعالزيتونة ثلاثين مدرسا بجراية قدرها ستون ريالا إلا في الشهر وخصص للأولين مواريث من الأوراث له راجع ذلك لبيت المال ،وللثانين أحباسا تلاشتها أيدي العدوان ،كما أقام بالجامع (الزيتونة)خزائن كتب بها نحو سبعة آلاف مجلد ونتج من ذلك إحياء العلم وكثرة العلماء بالقطر ،ومنهم فحول يعز نظيرهم ولا يزال ذلك مستمرا والحمد لله** ».[7]

لكن رغم مظاهر النهضة التي تميز بها عهده ،فإن سوء الحالة الإقتصادية في البلاد وعجز ميزانيتها عن تحمل أعباء مشروعاته الضخمة ،أجبرت الباي على مضاعفته للضرائب على الشعب ثم أخطر في النهاية لأن يوقف لكثير من مشروعاته[8]، كما أوحى للباي من قبلالقناصل

---

[1]حمادي الساحلي ، المرجع السابق ،ص 69.

[2]محمد الهادي الشريف،المرجع نفسه ،ص 138.

[3]حمادى الساحلي، المرجع نفسه ،ص 69 .

[4]حبيب حسن اللولب ، المرجع السابق ،ص37.

[5]محمد الهادي الشريف ، المرجع نفسه ، ص ص 138-139.

[6]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ص ص 125-126.

[7]نفسه ، ص ص 126-127.

[8]شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث : ليبيا –تونس– الجزائر –المغرب ،المرجع السابق ،ص 209.

والتجار الأوروبيين في بناء مصانع عصرية مثل مصنع البارود والمدافع ومصنع الاحذية ومعمل النسيج ...الخ إلا ان معظم تللك المنشآت قد منيت بالفشل لعدم تماشي التكنولوجيا العصرية مع الوضع الإجتماعي. [1]

تميزت التجربة الإصلاحية في الإيالة التونسية على عهد أحمد باشا بنوع من الحنكة القيادية ،حيث عرفت مرحلة السير وفق خطى ثابتة طبعتها الدقة الفائقة في الأخذ بأسباب التقدم غايته منها ترسيخ نوع من إستقلالالهواياتي للبلاد في ظل الضعف العثماني وكذا إفشال الطموحات الأوروبية[2] ، وحتى ما إذا آثرنا الوقوف عند الدوافع الأساسية لهذه التجربة الإصلاحية على عهد الباي أحمد باشا ،جعلناها تتوافق والعوامل الثلاث التالية :

- خطر التهديدات الخارجية التي أضحت محدقة بالإيالة التونسية . [3]
- المحاكاة واتجاوب مع القفزة التي سارت إليها الضفة الشمالية[4]، هذا فيما يخص أهم إصلاحات أحمد باشا التي ذكرناها سالفا وشملت مختلف الميادين لكن معظمها باءت بالفشل، إلا أن تجربته تعتبر محاولة جادة ذات عزيمة حقيقية في الإصلاح والمضي قدما ، هذا ما جعل بايات تونس بعد وفاة أحمد باشا يسيرون على نهجه الإصلاحي. [5]
- إثر وفاة أحمد باشا سنة 1855 إرتقى إلى العرش محمد باي[6] ، حيث تميز عهده (1855/1959)بالإصلاحات الدستورية التي قام بها .[7]

قام محمد لباي بإصدارماعرف في المصادر التونسية ب"**عهد الأمان**" الذي يعتبر الإنطلاقة الحقيقية لمشروع الإصلاحات السياسية بالبلاد التونسية فكانت إنطلاقة هذا القانون في 10سببتمبر

---

[1]محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ،ص 137.

[2]Gomiagejeam .les Origines du protzctoratfrancaisentumisie(1861/1881) ,paris ,1959.p15.

[3]عبد اللطيف بلمعطي، التجربة الإصلاحية المغاربية زمن القرن التاسع عشر :الإصلاحات السلطوية –تونس والمغرب –نموذجا ،انفاس نت ، من أجل الثقافة والإنسان ،6نيسان /أبريل2018، http://onfasse. Org/

[4]محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص ص 137–139.

[5]حبيب حسن اللولب ، المرجع السابق ، ص 37.

[6]نفسه ، ص37.

[7]شوقي عطا الله الجمل ،المرجع السابق ،ص 289.

1857م الذي يحتوي مضمونه على إحدى عشر قاعدة سياسية يتساوى فيه جميع الرعية على إختلاف مقاعدهم ومذاهبهم جاء كورقة تنظيمية ،إلا أن المرحلة التي سن فيها هذا النص إعتبرها العديد من المؤرخين من أنها بمثابة بدايات التدخل الفعلي للأجانب في السياسية الداخلية للبلاد وكذا ضغط القوى الأجنبية لضمان حقوقهم في البلاد التونسية كما شهدت مرحلته التي لم تدم طويلا إتجاها نحو إصلاحات إقتصادية في محاولة تخفيف ثقل الضرائب عن الأهالي من جهة وكذا تنظيمها وتقنينها من جهة ثانية في شكل جباية موحدة التي تدعى ب:«المجبى »أو «الإعانة»حددها الباي بستة وثلاثين ريالا يدفعها القادرون من الرجال واعتنى محمد باي بتكثير الفلاحة وغراسة الزيتون . [1]

وقد حضر ممثلي الدولة الأوروبية وكبار موظفيها أثناء كتابة الشيخ بن أبي الضياف لدستور (عهد الأمان) الذي قرأت نصوصه بالتاريخ آنف الذكر 1878 فوعد الباي العمل بنصوصه واشتمل على حقوق سياسية وإجتماعية و إقتصادية لسكان البلاد والأجانب وأهم ما جاء فيه :

- ضمان الأمن لسائر سكان الإيالة في أشخاصهم وأموالهم.
- تحديد مدة الخدمة العسكرية.
- بعث مجالس عدلية مختلطة.
- المساواة أمام القانون والجباية. [2]

بعد أن وافت المنية محمد باي خلفه أخوه محمد الصادق باي في 22 سبتمبر 1859[3]، حاول هذا الأخير منذ بداية حكمه أن يقوم ببعض الإصلاحات خاصة الدستورية ، وذلك بعد أن وجد عهد الأمان جاهزا ففتح عهده بالتوقيع عليه والقسم على العمل به[4]، فأنشأ الباي ما يعرف بالمجالس الأهلية سنة 1861 للفصل في القضايا بمقتضى القوانين المعلنة للسكان ،كما إنتخب مجلس أعلى من ستين عضو للنظر في مصالح البلاد ولإبداء الرأي في المسائل السياسية و

[1]شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ،صص 289-290.

[2]ابن أبي الضياف ، المصدر السابق ،ج4، ص ص 236-244.

[3]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ص132.

[4]الشيباني بن بلغيت، المرجع السابق ،ص 449.

الإقتصادية[1] ، لكن بإهمال الصادق باي شؤون الحكم و إستسلامه لوزير الأكبر مصطفى خزندار لمدة أربعة عشر سنة من حكمه ،أصبح دستور 1861 عبارة عن حبر على ورق . [2]

كما يبدو كذلك أن الخاصية التي ميزت عهد محمد الصادق باي هي الرفع من قيمة الضرائب الشيئ الذي أثقل كاهل الرعية ، مما أدى لنشوب ثورة شعبية بزعامة علي بن غداهم التي زادت توتر البلاد وأدخلتها في ضائقة المديونية . [3]

وصفوة القول ومن خلال ما تطرقنا له في الفصل الذي بين أيدينا وإستنادا على تقديم مؤلف خير الدين الشهير «**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** »الذي عكف لكتابته بعد إعتزاله وظائف السلطة بتونس في عهد الإيالة العثمانية والذي أكمل تأليفه عام 1867 و من خلاله حلل أوضاع العالم الإسلامي والعربي في القرن 19م وأهم ما ورد فيه مقدمة الكتاب التي نالت اقبالا في الشرق العربي الإسلامي لم ينله أي كتاب تونسي آخر في ذلك العصر ،حيث عاصر النهضة الأوروبية والثورة الصناعية والتكالب الإستعماري وانحطاط وتدهور الأحوال بتونس ،فلخص ذلك في مؤلفه الذي إحتوى على مقدمة طويلة وبابين ، درسا الدول العربية من كل النواحي التاريخية ، إشتملت مقدمته على آراء ثورية خطيرة في ذلك العصر والذي كان برنامجه إصلاحي سياسي بالدرجة الأولى ودافع تأليفه إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم لإلتماس الوسائل الموصلة لرقي الأمة ولإزالة الأفكار المخطئة العالقة بأذهان الأوروبيين عن إستبداد وضعف الدولة الإسلامية .

أما الإصلاح فقد لجأ له البايات العثمانيين في تونس بسبب ضغط القناصل الأوروبية والتهديد بالعدوان المسلح ،فبرزت حركة إصلاحية في القرن 19 لإعادة قوة الدولة الحسينية عرفت إزدهارا مع أحمد باشا لكن لم تكتمل تلك الفكرة لعدم إقتناع الرعية التونسيين بإيجابياتها بسبب إنهاكهم بالضرائب ولكونها إصلاحات متأثرة بتطور أوربي.

---

[1] شوقي عطا الله الجمل ، المرجع السابق ، ص 291.

[2] الشيباني بن بلغيث، المرجع نفسه ،ص 67.

[3] شوقي عطا الله الجمل ، المرجع نفسه ، ص ص 293-296.

الفصل الثالث إصلاحات خير الدين باشا التونسي السياسية المستمدة من الحضارة الغربية وتداعيات إجهاضها (1853/1877م) .

12- المبحث الأول ضرورة التوجه للإقتباس من أوروبا في التنظيمات السياسية للمجتمع التونسي.

13- المبحث الثاني مشروطية القانون في اصلاح هيكل الحكم السياسي التونسي .

14- المبحث الثالث مناهضة خير الدين للنظام الإستبدادي داخل تونس و مواجهته بإصلاح سياسي قائم على النمط الغربي -الأوروبي .

15- المبحث الرابع تداعيات إخفاق خير الدين في حركته السياسية الإصلاحية على المجتمع التونسي .

الفصل الثالث إصلاحات خير الدين باشا التونسي السياسية المستمدة من الحضارة الغربية و تداعيات إجهاضها (1853/1877م).

المبحث الأولضرورة التوجه للاقتباس من أوروبا في التنظيمات السياسية للمجتمع التونسي :

بعد المتاعب التي أحدثها بن عياد للبلاد التونسية وهروبه لفرنسا برز خير الدين بفكره السياسي وعمله على مسرح الأحداث وفي الفترة التي أوفره الباي لفرنسا 1953 ومكوثه لأربع سنوات كممثل للباي في قضية نهب الخزينة التونسية فإقامته بباريس كانت المنطلق الأساسي المنير لفكره والمولد لرغبة تجسيد مبادئ وإنجازات الحضارة الغربية في مطلع خمسينات القرن 19م الذي باشر فيه خير الدين حياة سياسية بأوضاع متدهورة على جميع الأصعدة ،فقد كانت البلاد مهددة باستقلالها وهذا ما دفع به لطرح برنامجه الإصلاحي الذي كان قائما على التمعن والتركيز لا عشوائي وهي الأفكار الإصلاحية التي تضمنتها مقدمة كتابه أقوم المسالك ... وضرورة الأخذ من الأفكار الأوروبية في التنظيمات السياسية والإصلاح بها والتي حاول تجسيدها أثناء فترة توليه رئاسة الوزراء ومن هنا نطرح التساؤلات الاتية :

فيما تجلت جهود خير الدين باشا في الجانب السياسي ؟ ، وماهدفه من القضاء على النظام الإستبدادي ؟ ، وماسبب مناداته ودعوته لضرورة الإقتباس من الغرب في في التنظيمات السياسية التونسية ؟ ، وماهي دوافع وظروف إخفاق تجربته الإصلاحية وما مخلفاتها على المجتمع التونسي؟

- **العوامل ساعدت تبلور فكر خير الدين الإصلاحي :**

ساهمت زياراته بإعتباره مبعوثا للباي إلى أكثر من اثناي عشر بلدا أوروبا (فرنسا و انجلترا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وهولندا والسويد والدنمارك وبلجيكا ....الخ)في بلورة حسه الإصلاحي ، منبهرا خلالها بمظاهر التقدم الأوروبي في مختلف الميادين (السياسي وثقافيا واقتصاديا وعمرانيا)،معرفا على نظمها السياسية والاقتصاديةوالاجتماعية.

كما لعبت السنوات الأربع التي أمضاها في باريس لمعالجة الدعوى القضائية التي أشرنا لها سبقا التي رفعها الوزير السابق في الحكومة محمود بن عياد ضد تونس ،دورا مهما في تعرفه

على المجتمع الفرنسي والثقافة والحضارة الفرنسية التي كان متأثرا بها ،وفي احتكاكه برجال السياسة وفهمه لأغراضهم ،ووضع عينه على أسباب رقي الأمم ،وحاول المقارنة بينها وبين أوضاع تونس . [1]

ولعل الشيء الأبرز الذي لفت إنتباهه (نظره) في المدنية الحديثة هو نزعتها الديمقراطية ، ومن هنا كان دأبه أن تتمثل تونس في البلدان التي زارها واطلع على أحوالها خاصة فرنسا في ذلك الحين التي بلغت شوطا مهما في هذا المجال ،لذلك حاول معرفة أسباب تأخر تونس ،وكيف لها أن ترتقي ؟وهو ما كان له أثر كبير على حياته المستقبلية وبرنامجه الإصلاحي ، الذي ركز فيه على دعائم التقدم الأوروبي المتمثلة في القوانين التنظيمية و السياسية . [2]

من الواضح يبدو جليا أن خير الدين كان جد مقتنع بالنظم السياسية والإقتصادية السائدة في أوروبا الغربية في عصره والمؤدية إلى إزدهار الأقطار على إختلاف مواقعها وأديانها وهي التي يستكفل الإصلاح الشامل ولذا فهي التي ينبغي للأمة الإسلامية أن تقتبسها[3] ومن أدلة إثبات فكرة دعوة خير الدين للأخذ من أوروبا نجد :

إذا كانت أسباب المدنية الاوروبية قد أحذت من العرب سابقا وتطورت على مر الزمن فمن الواجب إعادتها واستعمالها لصالح الأمة فكل طرف متمسك بدينه حتى لونظر أحدهما للآخر أنه ضال في دينه فلا عيب الأخذ منه .[4]

كما ضيق خير الدين التونسي لأدلته أن العرب مسلمين الأوائل ،أخذوا ينهلون العلوم من الكتب اليونانية ،خاصة منطق أرسطالين الذي إحتوى البلاغة والشعر وقواعد اللغة العربية وأصبح ذلك أساس الإنسانيات الإسلامية [5]وكانت ترجمة الكتب اليونانية [1] هي العماد الثاني الذي قامت عليه

---

[1]أحمد سوالم ،خير الدين التونسيرائد الإصلاح في تونس ، مجلة البيان أرشيف أعلام ، ع 414 ، الخميس 18 شوال 1443 هـ الموافق ل19 /05/ 2022م ، عبر الرابط الاتي :

https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=13647&fbclid=IwAR1ZnprsIIbIQfnwPzvyhzrRkvepv67bweVe-Ku_jUjNYqqWaZkhCr_IpfE

[2]نفسه .

[3]أحمد عبد السلام ، المرجع السابق ، ص 149.

[4]خير لدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 90-91.

[5]نبيلة حسن محمد ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2003م ، ص 13.

الثقافية العربية[2] لتأتي بعدها ترجمة المؤلفات الطبية ،ومن السريانية والآرامية إلى اللغة العربية. [3]

ذكر خير الدين أن الذين يمتنعون عن الأخذ بالتنظيمات الأوروبية فيما ينفع الأمة الإسلامية ولكن نجدهم يتنافسون في تقليدهم الملابس ، وأثاث المساكن والأسلحة وسائر اللوازم الحربية[4] ، وهذا ما أثبته محمد عبده (1849–1905) عندما صرح "... **وعلى هذا النحو ،تفننا في أنواع المفروشات وتأنقنا في اقتنائها من أنواع مختلفة مما غلا ثمنه ... فقد سلكنا مسالك المتمدنين في ثمرات تمدنهم ... وصار الناظر لملابسنا ومساكننا والذائق لمطاعمنا ومشاربنا يشهد بأننا في ذلك بحمد الله متمدنون** ... "[5]، وهذه الأمور تلحق الأمة "**بالشين والخلل في العمران و السياسة** ".

فالشين يقصد به خير الدين الإحتياج للغير من الضروريات –السابق ذكرها –وتدل على تأخر الأمة في المعارف وأما الخلل في العمران ،فعدم إستفادة صناع البلاد بصناعاتها التي هي أساس المكسب و أما الخلل السياسي ، "**فان إجتياح المملكة لغيرها مانع لإستقلالها، وموهن لقوتها، لاسيما إذا كان الإجتياح متعلقا بالضروريات الحربية التي لو تسنى شراؤها زمن الصلح ، لايتيسر ذلك وقت الحرب ولو بأضعاف القيمة** ".[6]

---

[1]أول من إهتم من المسلمين العرب بنقل العلوم الأعجمية إلى اللغة العربية هو خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان ميالا للعلم فنقل الكتب إلى العربية حتى تسمى ب حكيم آل مروان؛ **ينظر** : أنور الرفاعي ، "الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والإجتماعيةوالإقتصادية والفنية "، دار الفكر ،ط2 ،دمشق ، سوريا 1986 ،ص 528.

[2]زيغريدهونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب "اثر الحضارة العربية في أوروبا " ، تر: فاروق بيضون ، كمال دسوقي ،مرا: مارون عيسى الخوري ،ط8، آراء الآفاق الجديدة ،بيروت ، 1413هـ/1993م ،ص 378.

[3]أوليري، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، تر : تمام حسان ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ،2002، ص ص211–212.

[4]خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك،صص 06 – 07.

[5]محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، تح و تق: محمد عمارة ، دار الشروق ،ط1، بيروت –لبنان ،1993 ،ج1 ، ص 329.

[6]خير الدين التونسي :أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،ص28.

كما جنح خير الدين إلى ذكر أن الدول الأوروبية لم تصل إلى ماوصلت إليه من تقدم فجأة أو كان حالها هذا منذ الأول ، إنما كانت تعيش في حالة من التخبط والصراعات الداخلية بين الدول[1]، (إستتاب الأمن الداخلي بها) .

الذي كان وراء تقدم الأوروبيين هو إقتباسهم من الأمم الشرقية للعلوم والمعارف حيث خالطوهم أجيالا و دققوا في سبب قوتهم ، وبحثوا في أحوالهم ، حتى تمكنوا من تقليدهم لكن لافي البهارج والزخارف، بل في أسبابها والموصلات إليها[2] ، حيث أخذوا عنالرازي والطوسي والغزالي ، ومن ابن خلدون ،وابن بطوطة ؛ وألفوا كتبا ومجلدات ضخمة ميزوا مباحثها إلى سياسة عمومية وسياسة خارجية وسياسة داخلية ، وإدارية وإقتصادية و غيرها .[3]

ونلاحظ أن خير الدين عندما دعا إلى الإقتباس من الحضارة الأوروبية فهو لم يكن يدعوا في نفس الوقت إلى "التقليد الأعمى حيث نبه من جنحوا إلى هذا الإتجاه عندما قلدوا الغرب تقليدا أعمى في محاولة الإنهاض بالخلافة العثمانية رد عليهم بقوله : "**أن مبدئيا من المحال نقل مؤسسات بلد ما إلى بلد آخر ، حيث تكون فيه طبائع البشر مغايرة ،وكذا أخلاقهم وتربيتهم وظروف مناخهم** "وفشل هؤلاء المقلدون بسبب كونهم لم يجنحوا إلى إصلاحات جوهرية ، تتلائم والحاجات الحقيقية للبلاد وطبائع سكانها . [4]

كما يرفض خير الدين رفضا باتا مطلب أوروبا الرامي إلى هدم الذاتية العربية الإسلامية وهدم القضاء والعدالة الإسلاميين بإحلال مجالس وقوانين أوروبية بدعوى أن المحاكم الإسلامية غير قادرة على الإطلاعبمسؤلياتها ، نظرا إلى ما لحقها من جمود وتحجر ،حتى أصبحت لعبة في أيديهم . [5]

---

[1]السيد الباز العريني ، الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى ، القسم الأول كلية الآداب جامعة القاهرة ، دار النهضة العربية بيروت –لبنان ، 1963 ، ص 03.

[2]محمد عبده ، المصدر السابق ، ج1 ، ص ص 327 –328.

[3]عبد الرحمان الكواكبي ، طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد ، تح وتق : محمد عمارة ، دار الشروق ،ط1 ، القاهرة –مصر ،(د.ت)، ص ص 2007 –2019 .

[4]خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص 51.

[5]نفسه ، ص ص 51–52.

- **التـنظيمات السياسية :**

لقد دعا المصلح خير الدين المسلمين إلى الأخذ ببعض الأمور السياسية من أوروبا التي نجحت لديهم وحققت إزدهارا حضاريا ومكانة مرموقة منها :

- **الحرية :**

بدأ خير الدين بذكر أول شيئ الحرية هي منشأ سعة نطاق العرفان والتمدن بالممالك الأوروبية[1]، حيث يقول أن هناك شيئين مرتبطان بالحرية الأول والأهم هو نقل نظم الحرية الأوروبية إلى المواطن المسلم الحاكم والمحكوم وترغيبه فيها والثاني هو وسيلة محاولة بيان وإيضاح أن كل هذه النظم وما يتصل بها من مفاهيم ، قد وجدت في الإسلام ، ولها مقابل في الشريعة ، ولكنها لم تطبق إلا نادرا ولم تحترم[2]، وبذلك شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر الميلاديان نمو نظم الحكم ونشوء الدولة الوطنية الحديثة القائمة على الحرية[3]،ولقد تبين أن للأوروبيين نوعين من الحرية :

الحرية الشخصية : أو ما يعرف حاليا عندنا في كتب القانون بالحرية المدنية[4] ،فهي إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه مع أمنه على نفسه وعرضه وماله ،ومساواته لأبناء جنسه لدى الحكم بحيث أن الإنسان لايخشى هضمية في ذاته ولافي سائر حقوقه ولا يحكم عليه بشيئ لاتقتضيه قوانين البلاد المقررة لدى المجالس ، وبالجملة فالقوانين تقيد الرعية . [5]

الحرية السياسية : التي أشاد بها المستنير خير الدين والتي من خلالها يتدخل الرعايا في الأمور السياسية وصولا لأفضل حال للمملكة مستدلا بذلك لقول الخليفة الثاني **عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"من رأى منكم في إعوجاجا فليقومه** " ،ويقصد بذلك إنحرافه في تسيير الأمة ، ثم دخل خير الدين

---

[1]خير الدين التونسي ، أ قوام المسالك .في معرفة احوال الممالك، ص 74.

[2]صلاح زكي أحمد ، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ،مركز الحضارة العربية ،ط1 ، القاهرة ، مصر ،2001 ، ص 33.

[3]عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث و المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ،إسكندرية ،مصر 1992، ص 32.

[4]أحمد عبد السلام ،(المواقف الإصلاحية)، المرجع السابق ، ص 129.

[5]خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،ص ص 75-79.

في تفاصيل تعلقت بتطبيق الحريةالسياسية قائلا : "**ولما كان إعطاء الحرية بهذا المعنى لسائر الأهالي مظنة لتشتيت الآراء حصول الهرج عدل عنه كون الأهالي ينتخبون طائفة من أهل المعرفة والمروءة تسمى عند الأوروبيين بمجلس نواب العامة ، وعندنا بأهل الحل والعقد وإن لم يكونوا منتخبين من الأهالي** ".[1]

وهكذا يحرص خير الدين على أن النظم الدستورية الأوروبية يوجد ببعضها ماهو معروف لدى فقهاء المسلمين من إعتماد آراء أهل المعرفة **وأهل الحل والعقد**[2] في شؤون الدولة[3] ، ويضيف إلى ذلك التذكير في هذا المقام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من فروض الكفاية ، لكن الحرية لم تقتصر في بعض بلدان أوروبا في القرن 19م على مظهريها الشخصي والنيابي بل هناك مظهر ثالث إهتم به خير الدين في تحليله فقال :" **وبقي وراء ذلك للعامة شيئ آخر يسمى حرية المطبعة ، وهو أن لا يمنع أحد منهم أن يكتب ما يظهرله من المصالح وفي الكتب (الجرائد) التي تطلع عليها العامة ، أو يعرض ذلك على الدولة والمجالس لو تضمن الإعتراض على سيرتها** ".[4]

فلم يلاحظ خير الدين الإختلاف بين دول أوروبا من ناحية منحها رعاياها حرية القول والصحافة لمجرد الوصف ،بل كانت له غايات عملية متصلة بموقفه من الإصلاحات الواجب أن تدخلها الخلافة العثمانية على نظام الدولة حيث أوضح لنا خير الدين امجام الدولة العثمانية عن إطلاق الحريات لجميع رعاياها باختلاف أولئك الرعايا وإنتساب قسم منهم إلى فئات متضامنة مع دول أجنبية . [5]

---

[1] خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،ص ص 75-79.

[2] **أهل الحل والعقد** : مصطلح إسلامي دل على أحد الألفاظ التي تواضع عليها بعض أهل العلم من أصحاب الفقه السياسي وغيرهم ، ورد متقدما ولم يرد في الشرع بهذا اللفظ كألفاظ الإسلام والإيمان والعلماء ، و أولى الأمر ،نشأ المصطلح من قبل العلماء شأنه شأن كثير من المصطلحات مثل : أصول الفقه ، أهل الإجتهاد ، أهل الإجماع ... ، وقد إستعمله طائفتان من أهل العلم : الأصوليون وأهل الفقه السياسي ؛ **ينظر**:عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكة المكرمة –السعودية ، ع185 ،السنة السابعة عشر ،1419 هـ ، ص ص 12-17.

[3] أحمد عبد السلام ،المرجع السابق ، ص ص 129-130.

[4] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 74.

[5] مفيدة محمد إبراهيم ، عصر النهضة بين الحقيقة و الوهم ، دار مجدلاوي ،ط1 ، الأردن ،1999 ، ص ص370-371.

- **المجالس السياسية :**

كما نرى أن الأوروبيون قد عملوا على تفادي إطلاق الحكم بيد الملوك ورجال دولهم لأنه ثبت بتجارب الأمم السابقة أن خرابها كان سبب التصرف في السياسة المملكة دون قيد "فأسسوا لذلك مجالس ودواوين يكون فيها أعضاء من أهل الحل والعقد العارفون بالأمور السياسية ووظيفتهم المشاركة في تسيير أمور الدولة .[1]

وذكر الطهطاوي في كتابه تلخيص الإبريز .... أن للفرنسيين مجموعة من الدواوين أهمها :"**ديوان البير** " أي أهل المشورة الأولى ، ثم **ديوان رسل العمالات** ، ويليه **ديوان الوزراء والوكلاء** ، ثم ديوان يسمى **ديوان الخصوصي** ويوجد **ديوان سر الملكوديوان الدولة للمشورة** . [2]

ولتنظيم وتسيير شؤون الدولة ، أقدم الأوروبيون بوضع قوانين تبين حقوق بين الدولة والرعية ،وقوانين حقوق الأهالي فيما بينهم .

فالقانون الأول يوضحون فيه ما للدولة و ما عليها ، ويندرج تحتها مجموعة من النقاط يلخصها خير الدين في قوله حرية العامة الكافلة بضمانة حقوقهم ومنها تعيين أصول تصرفات الدولة جمهورية أو وراثية ،كتنفيذ القوانين الحكيمة وإدارة السياسة الداخلية والخارجية كعمل الحرب وعقد شروط الصلح والتجارة وتعيين الوظائف وتنصيب الموظفين من الوزراء وتأخير من لم تكن وظيفته مؤبدة ، وكذا صرف المجابي (المجبى) لما عنيت له .[3]

أما القوانين التي تنص على فصل نوازل السكان و التسوية فيما بينهم (حل المشاكل دون لجوء لقوة) في الضرائب والمنح بحسب المكاسب والإستحقاق والأحوال الداخلية وتأسيس هذا النوع أو تغييره بما هو مناسب للوضع بكون موافقة المجلسين أي المجلس الأعلى ومجلس الوكلاء فأهل

[1] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 82.

[2] رفاعة رافع الطهطاوي ، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفسي بايوان باريس ، تق :الصغير بن عمار ،دار موفم للنشر ،الجزائر ،1991، ص 125.

[3] خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص 82.

هذين المجلسين هم أهل الحل والعقد عندهم ،فكل ما وافقوا عليه مما لا يخالف تلك الأصول اللام فيها مشاركة العامة يصير من قوانين المملكة .[1]

- **الوزراء :**

نجد بأن الأوروبيون قد أوضحوا في قوانينهم مسؤولية الوزراء بأن يكون عملهم ضمن مجلس الوكلاء مباشرة وبذلك فإن أمور الدولة يسيرها صاحبها (الملك)ويتوقف إنجازها على عمل الوزراء ، بحيث الملك لا يقدم على فعل أمر إلا بعد إستشارة وزرائه، ولا يتدخل المجلس الأعلى ومجلس الوكلاء في سياستهم ، ويقدم الوزراء النصح و الرأي في إدارة البلاد عند الإجتماععلى قضايا مهمة داخلية وخارجية ، تهم الدولة.

فالنصوص الدستورية تفسح المجال عادة لمواجهة مجلس الوكلاء المنتخب من قبل الشعب بمجلس أعلى ،وهو الذي تعنيه السلطة التنفيذية ،أو يجري .إنتخابه من قبل هيئة إنتخابية مصغرة ، وذلك يظهر جليا[2]، عند سؤال الوزراء ،كما يظهر لهما متى شاء والقدح في سيرتهم خصوصا مجلس الوكلاء على تصويب سياسة الوزراء ....تسير للوزراء البقاء في الخدمة وتحصل حينئذ فائدة الدولة و المملكة. [3]

وإذا ثبت للملك عدم مصداقية عمل الوزراء ، يشرع بتغيير الوزراء أو حل مجلس الوكلاء على أن يعيد الأهالي الإنتخابات في مدة معلومة ، فاذا أعاد السكان التصويت لهؤلاء الوزراء ، دل ذلك على استحسانهم لعملهم ، وإذا تم إنتخاب أناس آخرين يقدم بذلك الملك على إخراج للوزراء السابقين .[4]

وقد أوضح خير الدين في بابه الثاني من كتابه أقوم المسالك ...،تحدث فيه عن إدارة الدول الأوروبية السياسية التي زارها ويخص الذكر هنا فرنسا ،حيث نظام الوزارة كان يسيره عشرة وزراء

---

[1] نفسه ، ص 93.

[2] روبير شنيرب ، تاريخ الحضارات العام القرن التاسع عشر ،إش:موريس كروزية ،تر :يوسف أسعد داغر وفريد .م .داغر ،منشورات عويدات ،ط2 ، بيروت ،لبنان –1987 ، ج6، ص 285.

[3] خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص ص 83-84.

[4] نفسه ، ص ص 84-86.

كل منهم يتصرف فيما يختص به وكل إلى أمانته عن أمر الدولة ،وهم وزير الدولة ،وزير الأحكام والديانة و وزير الفلاحة والتجارة ووزير دار الملك.[1]

وبذلك توصل الأوروبيون إلى أن الملك يخضع لرأي المجلس الذي تمانتخابه من الأهالي ولا يخالفه ،وهذه السياسة أوجدت نجاحا في سياسة الأوروبيين ،وما نتج عنها من فوائد جمة منها :

كف المأمورين عن التعدي على الرعية ،ومنها سهولة إعتبار المكاسب في توزيع الأداء على الأهالي بحيث لا ينقص من رؤوس أموالهم ... ، من تقدمهم في العلوم والصناعات واستخراج كنور الأرض بالزراعة . [2]

لقد حاول المصلح خير الدين تطبيق نظام الوزراء الأوروبية على البلاد التونسية عندما كان وزيرا مباشرا في سنة 1873 بأن قسم إدارة الوزراء إلى أربعة أقسام وكل قسم تحت إشراف مستشار ولا يقدم أي وزير على فعل شيء إلا بعد الحصول على الموافقة عليه . [3]

- **توسيع دائرة المعارف وتهذيب أبناء العائلة المالكة للبلد :**

إضافة إلى كل ذلك (ما ذكرناهسالفا) كان الأوروبيون يعتنون بأبناء العائلة المالكة في تهذيبهم وتوسيع دائرة معارفهم لإكتساب المعارف ، الذي يعود نفعا على المملكة فيما بعد إذا حكمها أحد هؤلاء الأبناء حيث يسخرون لهم معلمين مهرة يعلمونهم شتى العلوم والفنون وكل ما يذهب الأخلاق ويوسع مداركهم العقلية ، فإذا بلغ أشده وجه إلى الممالك الأجنبية ليكون لديه إطلاع عام على ما وصلت إليه الدول الأخرى حتى يستنبطها ما يقيد بلاده ويطورها وإن بلغ سن الرشد (18سنة) يصبح من أعضاء المجلس الأعلى ولا يتدخل في أي أمر إلا أن بلغ سنة (25) وغاية ذلك تدريبه على الأمور السياسية ويكسب خبرة من رجال السياسة الكبار . [4]

---

[1] نفسه ، ص ص 144-151.

[2] خير الدين التونسي ، أقوم المسالكفي معرفة احوال الممالك ، ص 86.

[3] أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي ،المصدر السابق ، ص 89.

[4] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص ص 72-73.

ومن خلال هاته التنظيمات السياسية أثرت كثيرا في تفكير خير الدين ونلمس ذلك عندما شارك في إعداد قانون عهد الأمان الصادر المؤرخ سنة 1857 والمتضمن بعض مواده وأفكارا غربية حيث يقر الأمن لسائر سكان الإيالة التونسية على إختلاف أديانهم وألسنتهم وألوانهم[1]، وفي أشخاصهم وأموالهم وأعراضهم ويقر مساواتهم أمام القانون والاداءات ، كما يشرع للأجانب تعاطي سائر الحرف وبعث مجالس عدلية مختلطة ، وإعداد دستور للبلاد .[2]

فقد حاولت الخلافة العثمانية تقليد الغرب في مؤسساتها السياسية عندما أصدرت التنظيمات الخيرية على عهد السلطان عبد المجيد (1939/1861م) لإعادة تنظيم شؤون الدولة على أسس جديدة مقتبسة من الحضارة الأوروبية في جميع المجالات " **الإدارية والمالية والقضائية والتعليمية والعسكرية**"[3]على أساس إقرار مبادئ الحرية والمساواة و إلغاء بين الرعايا جميعهم على إختلاف مذاهبهم ، فصار عبد المجيد الأول سلطان عثماني يضفي على حركة تغريب الدولة الصفة الرسمية **(إنشاء جيش على النمط الغربي إتجاه بالمجتمع حول تشكيل علماني والخروج عن التنظيم الإسلامي للدولة والمجتمع)**. [4]

ولذا نجد خير الدين متأثر ويدافع كثيرا على هاته التنظيمات ،لأنها مقتبسة عن التنظيماتأوروبا موضحا ما ترمي إليه هاته القوانين الجديدة إلى إصلاح الخلافة العثمانية ، مبرزا في حديثه العوائق التي وضعت لهدم هاته التنظيمات والحد من نجاحها كان أخطرها" ... **أن أعمال تلك الجهات (جهات المملكة) وغيرهم ممن له فائدة في التصرف بلا قيد ولا إحتساب لما تتيقنوا أن إجراء الإدارة و الأحكام على مقتضى التنظيمات مما يخل بفوائدهم الشخصية ،دسوا للعامة من قول الزور و الغش مما ينفرهم منها كقولهم :" هذا شرع جديد مخالف للشريعة و الإسلام** "[5]، مما أدى بظهور حالة نكران من عامة الشعب وعدم تقبل معظم الإصلاحات الغربية [6]،غير أن خير الدين رد عن هاته

---

[1]علي محجوبي ، المرجع السابق ، ص ص 94-95.

[2]يونس درمونة ، المرجع السابق ،ص ص 151-152.

[3]محمد عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ، مصر ، (د.ت) ، ج 4 ، ص ص 97-98.

[4]كمال السعيد حبيب ، الأقليات السياسية في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (1/1325هـ)(621/1908)، مكتبة مدبولي ،ط1، القاهرة –مصر ،2002م ، ص 427.

[5]خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص 33.

[6]عبد العزيز الشناوي ، المرجع السابق ، ج4، ص 98.

التهمةوالعديد من التهم الأخرى قد أظهرها في معرض كتابه بقوله :« **أما الشبهة الأولى في ردها ما أسلفناه مما يدل على أن الشريعة تقتضي التنظيمات المؤسسة على دعائم العدل والمشورة...**» . [1]

فنلاحظ على ما سبق أن خير الدين كان منبهرا جدا بالتنظيمات الأوروبية على درجة أنه لم يناقشها مناقشة جادة وهو السياسي والمفكر ، لأنه ليس في العالم نظام سياسي أو تنظيم إداري يسمو عند ذوي الألباب عن النقد و المناقشة ،في هذه النقطة تحديدا نقدته مفيدة محمد إبراهيم قائلة :«**إلا أنه لم يناقشها حتى من حيث ملائمتها للمجتمع الإسلامي المختلف تماما عن ذلك المجتمع الأوروبي الذي وجدت هذه النظم لخدمته وحل مشكلاته وليس لحل مشكلات الآخرين ،بل كل همه عرض النماذج الأوروبية كأي تاجر غير أمين يعرض بضاعته المستوردة على المشترين يكيل لها المدح بالأطنان لتحسينها في أعينهم من غير التشبه إلى مساوئها ونقاط ضعفها مع أنها كثيرة ، مما لا يدع فرصة للمشترين التفكير أو تفحص البضاعة**». [2]

المبحث الثاني: مشروطية القانون في اصلاح هيكل الحكم السياسي التونسي.

من خلال التجارب السياسية التي قام بها الوزير المصلح خير الدينفي حياته توصل إلى أن الحكم المقيد بالقانون أفضل الأنظمة السياسية ، والمقصود به هنا أن تكون السلطة فيها موزعة بين هيئات مختلفة ، وخاضعة للقوانين الوضعية ، يعني الحكومة التي يسود فيها مبدأ فصل السلطات ، وبأن توزع السلطة دون الإرتكاز على يد واحدة[3]، وتوصل إلى نتيجة بعدما رأى فشل الحكم المطلق المركزي في الأمة الإسلامية فشلا ذريعا ، وعليه يقوم هذا الحكم على عدة نقاط في نظر خير الدين أولهما أن سلطة الخليفة لا جدال فيها ،وثانيها أهل الحل والعقد وثالثها مسؤولية الوزراء والموظفين تجاه السلطة ، ورابعا مشاركة العلماء في السياسة .[4]

أولا–لا جدال في سلطة الخليفة :فبعد التمعن في كتاب أقوم المسالك وجدنا أنه من ظواهر فلسفة خير الدين في أنظمة الحكم تمسكه بنظام الخلافة ، وعدم تصريحه أو تلميحه بأي شكل من

---

[1] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص ص43– 44 .

[2] مفيدة محمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ص 295–296.

[3] محمود سعيد عمران ؛ أحمد أمين سليم وآخرون ،التظم السياسية عبر العصور ، دار النهضة العربية لطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،لبنان، 1999،ص 343

[4] خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،ص 60.

أشكال الحكم الحديث ،إذن فهو يدعو إلى تحقيق الحرية والعدلاالإجتماعي ،لكن في إطار الخلافة العثمانية ،معنى أن خير الدين عثماني التفكير ، يقبل أنظمة الحكم المقيد بالقانون ، لكن دون النقص في سلطة الخليفة[1]وفي هذا الصدد يقول إبن خلدون :«**أن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الفرض والشهوة السياسة هومحل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ..وهي حراسة الدين وسياسةالدين**».[2]

وليكون كذلك الخليفة لابد أن تتجمع فيه مجموعة من الصفات والشروط التي أوردها بعض المؤرخينكالبيروني وابن خلدون ضرورة توفر صفات في الخليفة والا فالمسلمون في حل من الخضوع له ، وهذه الصفات تتجلى في:

1-**العلم** :أي أن يكون ملما بشؤون الدين والأحكام الشرعية.

2-**العدالة** : أي أن يكون مستقيما متجنبا للمعاصي ، حسن السيرة والأخلاق الحميدة بين الناس . [3]

3-**سلامة الحواس والأعضاء** : سمع وبصر ولسان وإدراك وسلامة أعضاء من اليدين والرجلين من نقص يمنع عن إستيفاء الحركة مما يؤثر في العمل.

4-الرأي المفضي إلى سلامة الرعية والنجدة لجهاد لعدو وحماية البلاد.

5-أما الشرط الأخير فقد إختلف فيه العلماء وهو النسب القرشي . [4]

وبذلك لخصنا واجبات الخليفة في نقاط الاتية :

- المحافظة على الدين من خطر البدع وإقامة الحدود.
- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين حتى تعم النصفة ، فلا يتعدى ظال ولا يضعف (العدل بين الناس).
- جهاد من خرج من الإسلام حتى يسلم أو يدخل في العهد.

---

[1] رشيد الذوادي ، المرجع السابق ، ص 45.

[2] إدريس خضير ، المرجع السابق ، ص ص 246 .

[3] محمد الخضري بك ،إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، مطبعة الإستقامة ، ط4 ، القاهرة –مصر ،(د.ت)، ص 10.

[4] نبيلة حسن محمد ، المرجع السابق ،ص 35.

- أن يدير الأمور بنفسه ويتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراستها. [1]

وإذا انعقدت الخلافة وقام بما عليه من واجبات ، تكون له حقوق تمكنهوتساعده من القيام بأعمال الخلافة وتنحصر هذه الحقوق في ثلاث نقاط :

1-طاعة الخليفة بالمعروف ،(طاعة في غير معصية).

2-نظرة الخليفة فيما يراه ويأمر به ، ومؤازرته وتقديم النصح له.

3-تعيين راتب له يكفيه للمعيشة هو وأهل بيتهعيشة كريمة فيغير تقصير أو إسراف. [2]

ثانيا -الإقتداء بأهل الحلوالعقد : السلطان لا يمكنه تسيير البلاد بمفرده إنما بمعونة مجموعة من الأمناء والنصحاءأو ما يسمونهم بأهل الحل والعقد ،التي أوجبها خير الدين في الحكم بقوله :"... **وجب علينا أن نجزم بأن مشاركة أهل الحل والعقد للملوك في كليات السياسية ... مراعى فيها حال المملكة، أجلب لخيرها وأحفظ له** "، وبذلك توجب مشاورة الخليفة أو الملك لأهل الحل و العقد .[3]

كما أثبتت لنا المصادر التاريخية مشاركة هؤلاء في أمور الدولة على عهد بني العباس ، بالرغم من بطشهم وسطوتهم ،إلا أنهم يعلمون واجبهم تقدي النصح لأن الدين النصيحة[4] ويمكن تلخيص عمل أهل الإختيار في معاونتهم للملوك على ما تكفلوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد السوء بهم ، وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية والنصح لعامة المسلمين.[5]

---

[1] محمد الخضري بك ، المرجع نفسه ، ص 16.

[2] محود سعيد عمران وآخرون ،المرجع السابق ، ص ص 300-301.

[3] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص ص 11-13.

[4] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين ،العلماء والسلطة : (دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والإقتصادية في العصر العباسي الأول)، المكتب الجامعي الحديث ، مصر 2008 /2009م ، ص 131

[5] محمد عبده ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 384

فبعد حث السيد خير الدين على أخذ لشورة أهل الحل والعقد ، قامت عدة إعتراضات من البعض بأنها تحد سعة تصرف الملك فأقدم خير الدين على إعطاء عدة إثباتات تنفي قولهم(إعتراضهم)قائلا :"...**ولا يقال أن مشاركة أهل الحل والعقد للأمراء في كليات السياسة ،تضييق لسعة نظر الإمام وتصرفه العام**"ثم عرج إلى مجموعة من الإستشهادات ومن بينها قول **عمر بن الخطاب –رضي الله عنه** عندما جعل الخلافة شورى بين ستة قال :"**إن إنقسموا إثنين أو أربعة فكونوا مع الأربعة** " . [1]

ثالثا – كفاءة ومسؤولية الوزراء والموظفين: أثناء التصفح في مؤلف خير الدين أقوم المسالك نجد خير الدين في ثنايا حديثه يبين أن أسس الحكم المقيد بالقانون إحداث منصب الوزارة وهي كما يقول عنها إبن خلدون :"**أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية ، لأن اسها يدل على مطلق الإعانة فإن الوزارة مأخوذة إما من المؤازرة وهي المعاونة، أو من الوزر وهو الثقل** ..."[2] ؛ والوزارة عند خير الدين هي :"**أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضائها على إجتهادهوليس يمتنع جواز هذه الوزارة** ..." [3] ، ويرى المؤرخون أن أصل هذا المنصب يرجع إلى العباسيين ،أما قبل ذلك فلم يكن موجودا .[4]

ويشترط في الوزير ،كما تم تناولها في الأحكام السلطانية ، أن يكون صاحبها من أهل الكفاءة ، وحتى أن الخليفة المأمون كتب في إختيار وزير فقال : "**إني إلتمست لأموري رجلا جامعا لخصال الخير ذا عفة في خلائقه ،وإستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب وأحكمته التجارب ، إذا إئتمن على الأسرار قام بها ، وإن قلد مهمات الأور نهض بها** ..."[5]

وقد توصل علماء التشريع كالماوردي وغيره بأن الوزارة نوعين : وزارة التفويض ووزارة التنفيذ .

وزارة التفويض : يرأسها شخص يفوض إليه الخليفة تدبير الأمور برأيه ، وإمضائها على إجتهاده دون الرجوع إليه ،فسلطة التفويض مطلقة شبيهة بسلطة الخليفة إلا في بعض أمور مثل ولاية العهد والإستفتاء: أي الخليفة يستفتي الأمة من الخلافة.[6]

---

[1] خيرالدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص16.

[2] عبد الرحمان بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 185.

[3] خيرالدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ص15.

[4] عبد العزيز الدوري ،النظم الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ، بيروت –لبنان ،2008 ، ص184.

[5] محمد بن خوجة ،المصدر السابق ،ص 117.

[6] أنور الرفاعي ، المرجع السابق ، ص 105.

وزارة التنفيذ : يرأسها شخص لا يحق له تدبير الأمور بإجتهاده وإما يكون عمله قاصرا على تنفيذ أوامر الخليفة، وهو واسطة بين الخليفة وبين الرعية فيقوم بما يأمرهالخليفة به من تعيين الولاة وتجهيز الجيوش وإدارة شؤون الدولة . [1]

فتعتبر وزارته فاتحة عهد جديد لتونس لنجاح إصلاحاته التي وجدت صدى في البلاد والشعب[2]،فمن صلاحيات الوزير ، يحق له تعيين او إزاحة الموظفين الذين تحت مسؤوليته ، فيري خير الدين لتنظيم هؤلاء ، على السلطان القيام بإصدار قوانين تنظيمية.[3]

رابعا – دور العلماء في السياسية والحكم المقيد بالقانون :دعا خير الدين من ناحية أخرى العلماء إلى مشاركة الدول في الحكم وتسيرها بقوله:".. **بل أصول الشريعة تقتضيها إجمالا وتلاحظها بعين الإعتبار ، فالجري على مقتضيات مصالح الأمة ، والعمل بها حتى تحسن أحوالهم ويحرزوا قصب السبق من مضمار التقدم متوقف على الإجتماعوإنتظام طائفة من الأمة ملتئمة من حملة الشريعة ورجال عارفين بالسياسات ومصالح الأمة متبصرين في الأحوال الداخلية والخارجية ومناشئ الضرر والنفع يتعاون مجموع هؤلاء على نفع الأمة بجلب مصالحها ودرء مفاسدها** ".[4]

وعليه فالسياسة الشرعية التي يدعوا إليها خير الدين ، ليست كما يتبادر إلى ذهن الحافظينالتقليد الحرفي الأعمى للسلف الصالح فهي تعتبر أساسا مراعاة أحوال الوقت.[5]

فمشاركة العلماء لرجال السياسة لها من الأهمية في أقوم المسالك ما يجعلنا نعتبر تعاونهم بمثابة العمود الفقري للترتيب السياسي الذي إقترحه خير الدين ويظهر أيضا أن خير الدين تأثر بالتجربة التونسية[6] ؛ ذاكرا ثلاثة عيوب في هذا الشأن وعدم موافقة التنظيمات ، والإطاحة في الحكم والإضطرار الإكثار من الموظفين ،ومن الضرائب هي التي كثر ترديدها من طرف المحافظين في تونس ، وقد أجاب خير الدين عن الإعتراض الأول بأن المسلمين أقرب الناس بحكم دينهم إلى قبول المشورة والعدل ، وأن صفاء عقولهم لا يقل عن صفاء عقول غيرهم ، وأن حكم التنظيمات واستتباب العدل من شأنها إعادة

[1]عبد العزيز الدوري ،المرجع السابق ، ص 199.

[2]شوقي الجمل ، المرجع السابق ،ص 122.

[3]خير الدين التونسي ،المذكرات ، ص 155.

[4]خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ،ص 40.

[5]خير الدين التونسي ،أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 56.

[6]أحمد عبدالسلام، المرجع السابق ، ص 24

الذكاء إليهم والفطنةاللذين كدرهما الحكم المطلق مدة قرون ،وعلى الإعتراض الثاني[1] لاحظ أن السرعة المفرطة في الحكم تدل من طرف ملوك الإطلاق على قلة التفكير في القضايا والتهاون بالحقوق ، وعن ثالث أجاب أن كثرة الضرائب و إجحافها ينشآن عادةمن الحكم بالمشيئة وإطلاق التصرف للملوك . [2]

وبالتالي فلا تبتعد كثيرا في إعطاء مثال على حث خير الدين إشراك العلماء ففي سن قانون عهد الأمان سنة 1857م إستعفى رجال المجلس الشرعي من ذلك العمل ، فكان خير الدين يرى أن التجربة الإصلاحية كانت تكتسب حظوظا أوفر من النجاح لو أن العلماء شاركوا فيها مشاركة أوفر ، وأظهروا إقتناعا أكبر بضرورة الإقتباس من النظم الدستورية .[3]

المبحث الثالثمناهضة خير الدين للنظام الإستبدادي داخل تونس و مواجهته بإصلاح سياسي قائم على النمط الغربي–الأوروبي.

1– مناهضة النظام الإستبدادي في عهد خير الدين

ناهض خير الدين الحكم الإستبدادي القائم على الحكم الفردي سواء في تونس أم في الأستانة ،من خلال سعيه للحد من سلطات الباي والسلطان عبد الحميد ففي تونس انشأ مجلس شورى منتخبا عام 1860يتمتع رئيسه بصلاحيات واسعة في سن القوانين ومراقبة تنفيذها ،وقلص صلاحيات الباي ورجاله ،وهو ما ساهم في مواجهة المجلس لمشاكل عدة[4] منها: تجاوزت إصلاحات خير الدين مقاومة الحكم الفردي والتقليص من صلاحيات الباي ورجاله بل أصبح هو من يحدد رواتبهم ومخصصاتهم ، انسجاما مع وضعيات البلاد المالية المتأزمة.[5]

فالباي فاسد وكان يشارك المفسدين في فسادهم ويسعى للإحتفاظ بسلطته المطلقة في حين خير الدين كان يسعى للحد من سلطته ومن الفوضى المالية ، وكان يحاول تقويمه ،هذا ما جعل أحمد أمين يقول : «**فالباي محمد الصادق كان مصطفى خزندار الناهب السارق الخائن ، أحب إليه من خير الدين النزيه العادل الحام فهذا لم يكن يعطيه من المال إلا ما يقدر له في الميزانية**

[1] خير الدين ، المصدر نفسه ، ص 33

[2] نفسه ، ص 47.

[3] أحمد عبد السلام ،المرجع نفسه ، ص24.

[4] سمير أبو حمدان، المرجع السابق ،ص 51

[5] نفسه ، ص 38.

وذلك يعطيه ما يشتهيه ليأخذ لنفسه ما يشتهي وهذا حازم لا يجيز من الامر إلا ا وافق العدالة ومصلحة الشعب »والشيء نفسه حاول القيامبه في السلطنة العثمانية عندما تعين صدرا أعظما ، إذ سعى إلى الحد من سلطات السلطان عبد الحميد ، وهو ما أدى إلى عزله بعد ثمانية أشهر من تعيينه .

فأهم هذه الإصلاحات التي قام بها خير الدين باشا بهدف إصلاح أحوال البلاد التونسية لمواكبة التطور الذي تعرفه أوروبا والمواجهة التغلغل الإستعماريإلا أن العوامل ودسائس ومؤامرات وقفت طريقه ، و من الأفكار الإصلاحية التي نادى بها خير الدين من خلال كتابه للقضاء على الإستبداد السياسي الذي يراه "**إطلاق أيدي الملوك ... بالتصرف المطلق في عبيد الله من غير تقييد بقانون عقلي لمنافاته لشهواتهم...** ". [1]

وقد عرفه العديد من المؤرخين (الاستبداد) ، وفي مقدمتهم إبن خلدون الذي يرى أن صاحبه لا يستمد سلطته من الرعية ولا يستشير أفرادها وغير متبوع أو محاسب ، لأن مقاليد الأمور كلها بيده ،كما أنه لا يخضع لأي قانون ، و في حالة وضعه لقانون معين ، فإنه يجعله مطية لخدمة نفسه ولخدمة الرعية[2]، أما محمد عبده فيعتقد أن الاستبداد هو "**تصرف الواحد ،على وجه الإطلاق في الإدارة ، إن شاء وافق الشرع والقانون و إن شاء خالفهما فيكون إتباع النظام مفوضا إليه وحده إن أراد قام به ، وإن لم يرد لا يؤخذ عليه وهو الاستبداد المطلق**".[3]

إذن نظام الإستبدادي هو لا يخضع فيه الحاكم للقوانين الوضعية فلا يكون في سلطانه حد و تندرج تحته أنواع الأنظمة كالحكم المطلق والدكتاتوري التي تستعمل فيها السلطة كما ينبغي بحيث لا يخضع في تصرفاته لقانون ،فإرادته هي القانون فله أن يقرر ما شاء دون إتباع قانون ماوعلى شاكلته ويزعمون أنهم يختبرون بذلك مقدار طاعة الرعية .[4]

---

[1] خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 10.

[2] إدريس خضير ، التفكير الإجتماعيالخلدوني وآثره في علم الإجتماع الحديث ، موفم للنشر ، الجزائر ،2003، ص 244.

[3] محمد عبده ،المصدر السابق ،ج1 ،ص 381.

[4] محمد سعيد عمران وآخرون ، المرجع السابق ، ص 342.

إلا أن خير الدين رفض هذا النظام ودعا للقضاء عليه كحل لإصلاح نظام الحكم في الأمة الإسلامية ، لأن نتيجته مجلبة للظلم على إختلاف أنواعه ... وأشرف بعض ممالكهم على الاضمحلالوإنحطاط الأمة[1] ، وهو ما يوافق عليه إبن خلدون عندما عقد فصلا كاملا عنوانه الظلم مؤذن بخراب العمران والسبب كان إستبداد الملوك على الرعية فيقول أعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ، ذاهب بآمالهم في تحصيلها وإكتسابها ... والعمران ونفاق إنما هو بالأعمال وسعي الناس في المصالح والمكاسب لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة . [2]

وبهذا يوصلنا إبن خلدون إلى أن الحكم الجائر الذي يتسلط على الناس ويعتدي عليهم وعلى ممتلكاتهم وحرماتهم ، ويهضم حقوقهم ويحط من كراستهم فإنهم يمقتون الحياة ويتخلون عن العمل الجدي ، ويولد فيهم السخط على النظام السياسي المسلط عليهم .[3]

وأكبر مثال على ذلك ما وصلت إليه فرنسا خلال عهد نابليون بونابرت من فوضى وخراب ويقول خير الدين «..**ومع ذلك فلم تمض إلا سنوات ، إذ إنقلب ذلك العاقل مجنونا**» ، لهذا توصل خير الدين إلى أن العمل بالرأي الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه مابلغ من الكمالات بشخص يتصرف بمقتضى إرادته . [4]

ومن تتبع الشريعة ونصوصها يرى أن الإستبداد المطلق ممنوع منابذ لحكمة الله في تشريع الشرائع ومعادن الأيات الشريفة والأحاديث الصحيحة لآمره بإتباع أحكام الكتاب العزيز والأخذ بالسنة الراشدة لأن المسلمين عندما يبايعون الولاة يقولون لمن بايعوه :بايعناك على أن تكون خليفة رسول الله تتبع سنته وتسلك بنا طريقته ، ومن أقوال الخلفاء الراشدين التي تثبت عدم خروجهم من شرع الله ، هو قول **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** بعد أن ولي الخلافة ...أيها الناس من رأى منكم في إعوجاجا فليقومه فقام بعض الحاضرين قائلا والله لورأينا فيك إعوجاجا لقومناه بسيوفنا . [5]

---

[1]خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص 10.

[2]عبد الرحمان بن خلدون ،المقدمة ، دار الكتب العلمية ، ط9 ،بيروت –لبنان ، ص ص 223–224.

[3]إدريس خضر ، المرجع السابق ، 27 .

[4]خير الدين التونسي ، أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ص ص 10–11.

[5]محمد عبده ، المصدر السابق ،ج1، ص 382.

وقد حاول خير الدين عندما عاد من باريس إلى تونس أن يضع عدة إصلاحات بها أول شيئ وجده مستشيري في الحكم هو إستبداد الباي[1] ، والذي رفض أن يشاركه بالتصرف والمشاركة في الرأي إلا أفراد حاشية المؤتمرين بأمره ، ضاربا الشعب بأسوار حديدية ، مرهقا البلاد في حكمه المطلق .[2]

كما دعا إليها أيضا الأفغاني والطهطاوي اللذان إعتبرا أن الديمقراطية هي علاج الإستبداد ، فقد قاوم الأفغاني هذا النظام حيث يقال أنه ، ناضل ....طويلا في كل مكان حل فيه ضد الإستبداد والمستبدين ، وناجز الإستبدادالشاهاني في إيران والخديوي في مصر والسلطان عبد الحميد في الأستانة ، كما يقول محمد عمارة أن كلمات "–وعزة الحق وسر العدل هي القسم لدى جمال الدين ولذلك دلالة كبيرة في تفكير الرجل الذي نذر نفسه للحق والعاشق للعدل بين الرعية. [3]

بحيث يرى أنه بإمكان الشعب أن يجتمع في الساحات العامة يختار من يمارسون السلطة وهذا الأمر كان معمولا به في أوروبا منذ ق18م [4] ومن مظاهر مقاومة الأفغاني للإستبداد الذي راح أينما حل ينتقد الحاكم بشدة ويهاجمهم حتى وصل به الأمر إلى الاعتصام كما حدث له مع شاه إيران عندما إعتصم في مقام عبد العظيم ورفض الخروج يثبت للشعب أن شاه لم يف بوعده بتشكيل مجلس نيابي . [5]

وقيل عن الاستبداد :

- إن الإستبداد داء أشد وطأة من الوباء أكثر هؤلاء من الحريق أعظم تخريبا من السبل ، أذل للنفوس من السؤال .
- الإستبداد يعلم الصغير الجاهل حسن الطاعة والإنقياد للكبير الخبير ، والحق أن هذا فيه عن خوف وجباية لا عن خيار وإذعان .

---

[1]سمير أبو حمدان ، المرجع السابق ، ص 33.

[2]الطاهر عبد الله ، الحركة التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1830–1956) ، دار المعارف ، ط2 ، تونس ، (د.ت) ، ص 16.

[3]مفيدة محمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص248.

[4]ناضم عبد الواحدالجاسور ، المرجع السابق ،ص 197.

[5]مفيدة محمد إبراهيم ،المرجع السابق ، ص 275.

- يقولون هو يرى النفوس على الإعتدال والوقوف عند الحدود والحق أن ليس هناك غير إنكماش وتقهقر . [1]

يمكن أن نقول أن خير الدين من أسس فكره في القضاء على الإستبداد السياسي بكل أنواعه وأشكاله، وذلك بإرساء العدل ونبذ الظلم ، ولم يتم ذلك إلا باحترام أصول الشريعة الإسلامية الصحيحة .

- **تجسيد الإصلاحات الساعة عقب توليه للوزارة**

ولتجسيد خير الدين فكره قام بعدة اجراءات لتحقيق مشروعه الاصلاحي تمثلت في :

الاصلاح من الداخل : حاول خير الدين باشا الإصلاح من الداخل لكونه أداة من أدوات السلطة السياسية ،سواء في تونس أو في الأستانة متحملا لعديد من المسؤوليات السياسية وهو يدرك أنه يتحرك في محيط غير مناسب ؛فقد حاول التخفيف من الفساد ، والضرب على أيدي المفسدين بالوقوف إلى جانب الباي في الصواب ، ومعارضته في الخطأ ، إلا أن مهمته كانت صعبة رغم إحاطة نفسهقدر الإمكان بفريق من الموظفين والأدارسة الاكفاء والمخلصين فالسلطة السياسية فاسدة ومن ثم فهي تحقق هذا أي نجاح الإصلاح بتونس ، ومن ثم تعرضه لكثير من المشاكل والدسائس والمشاكل في علاقته بالسلطة ، ورجالاتها سواء في تونس أم في الأستانة وهو ما جعله غير محبب لديهم وخير مثال على ذلك ما رؤاه رئيس التشريعات العثماني من ان علاقة خير الدين باشا مع السلطان عبد الحميد لم تكن مرنة ، إذ إن لهجته وتصرفه في أحاديثه .[2]

المناداة بالإصلاحات السياسية على النمط الأوروبي : عقب تولي خير الدين لوزارة 1953 سعى للتأمل طويلا في أسباب تقدم الأمم وتأخرها من خلال مؤلفه مستندا في ذلك لما أمكن

[1] عزالدين إسماعيل وآخرون ، نوابغ العرب عبد الحمان الكواكبي ، دار العودة ، بيروت –لبنان ، 1985، ص 62.

[2] ألبيرت حوراني ، المرجع السابق ، ص 113.

تصفحه من التواريخ الإسلامية والأجنبية مع ماحرره الكتاب من الفريقين فيما كان عليه الأمة الإسلامية وما آلات إليه وما يتولى أمرها في المستقبل. [1]

ولهذا كان منطلق خير الدين من إصلاحه السياسي الذي إقتبسه من أوروبا هو الوضعالسياسي المتأزم في تونس من خلال تجسيد تلك الأفكار الإصلاحية من كتابه المذكور سالفا "على أرض الواقع للنهوض بالبلاد ، فيقدر ما تشبع بقيم ومبادئ وإنجازات الحضارة الغربية أثناء إقامته بفرنسا مطلع خمسينات القرن 19م ، بقدر ما فهم عمق وخطورة تنامي المد الإستعماري الفرنسي بصفة عامة وأطماعه في تونس على وجه الخصوص[2]، لذلك وجدنا سياسته تجلت في البحث عن سبل التخلص من تزايد النفوذ الإستعماري[3] ، وبإعادة ربطها (تونس) بالدولة العثمانية تفاديا لسقوطها في أيدي الإستعار الأوروبي ، ولابد من تغييرجوهري في النظم السياسية والإجتماعية كون تلك النظم هي السر فيما اطلع عليه من تطور دول أوروبا[4].

لذلك يمكن لنا تلخيص المذهب السياسي اللبرالي لخير الدين في الجملة الآتية: «**وجب علينا أن نجزم بأن مشاركة أهل الحل والعقد الملوك في كليات السياسة ، مع جعل المسؤولية في إدارة المملكات على الوزراء** ..»؛ واجاب خير الدين على من إعترضوه من محافظين تونسيين مستندا على القرآن الكريم في ذكر قصة سيدنا موسى عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي (30) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (31) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (32)** ﴾ . [5]، فإن كان ذلك جاز في النبوة كان في الإمامة أجوز .[6]

---

[1] الصحراوي قمعون ،حركة الإصلاح والتحديث في تونس ، تق :الشلذلي القليبي ، برق للنشر والتوزيع ، (د.ب) ، (د.ت) ، ص ص 20-21.

[2] زهير الذوادي ، المرجع السابق ، ص137.

[3] عبد الرزاق خلف الطائي ، خير الدين التونسي ومشروعه النهضوي ،دنيا الوطن ، 2010/5/21،ص 7.

[4] فريد حاجي ، المرجع السابق، ص 150.

[5] **سورة طه ، الآية (32) ، رواية ورش.**

[6] خير الدين التونسي ، اقوم المسالك في معرفة احوال المماليك ، ص ص 57-58.

تبنى خير الدين باشا تحليلا سياسيا مفاده تطوير العلاقة بين الإيالة التونسية والباب العالي كفيلة بالحد من الخطر الأوروبي والفرنسي على سيادة تونس وهو المقصد الفعلي لسفره إلى إسطنبول سنة 1859 محاولا تثبت وضع تونس كجزء من الإمبراطورية[1]، نجح في ذلك سنة 1872وذلك بصدور قرار الرحلة يثبت أن تونس جزء من الإمبراطورية العثمانية مع تمتعها بحكم ذاتي ، تجلت السياسة الخارجية لخير الدين في الجهود التي بذلها كالتالي :

- تمسك بموقفه ربط علاقات تونس مع الدولة العثمانية رغم معارضة القوى الأوروبية خاصة فرنسا .
- الحفاظ الدقيق على التوازن في علاقات تونس مع القوى الأوروبية. [2]

فقد كان خير الدين مقتنعا بضرورة اللعب على تناقضات الدول الكبرى[3] تركيا وفرنساوانجلترا وإيطاليا حفاظا على نوع من الإستقلالية للقرار التونسي مع ما يعنيه ذلك من ضرورة إرضاء كل الأطراف في نفس الوقت[4] ، دافع كذلك على مبدا مفاده أن الإيالة التونسية جزء من الإمبراطورية الإمبراطورية العثمانية رغم معارضة البايات وحاشيتهم وأغلبية النخبة الإدارية والسياسية المقربة من الحكم ومعارضة فرنسا. [5]

مر المسعى السياسي في الإصلاح لخير الدين التونسي بمرحلتين :

مرحلة ماقبل الوزارة الكبرى في تونس : لم يكن يملك زمام الأمور إلا أنه إضطلع بدورهام في إصدار قانون عهد الأمان 1857 الي جانب محمد بيرم الخامس [6] ، حيث شارك خير في

---

[1] زهير الذوادي،المرجع السابق ، ص 137.

[2] نفسه ،ص143.

[3] حاول أن يبقي السياسة الخارجية متوازنة بين مختلف القوى الأوروبية ،عبر إمضاء معاهدات مع إنجلترا في 10أكتوبر 1863حول الملكية العقارية للبريطانيين في تونس ، ومعاهدة لنفس الغرض مع النمسا في 13أفريل 1866... ؛ **ينظر** :عبد القادر دوحة ، «**الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19م ،وعلاقتها بالحضارة الغربية** » ، عصور جديدة ،ع11-12، 1434-1435/2015-2014م ، جامعة خميس مليانة -وهران ، ص 253.

[4] محمد الحداد ،المرجع السابق ،ص98.

[5] زهير الذوادي ،المرجع السابق ،ص145.

[6] الهادي التيمومي ،«**خير الدينفي عيون الكادحين التونسيين نعمة ام نقمة ؟**»، في خير الدين التونسي ، واقع الندوة التي إنتظمت بيت الحكمة (4ماي 2010)، المجتمع التونسي للعلوم والأدب والفنون ، بيت الحكمة -قرطاج ، 2011،ص 197.

لجنة صياغة الدستور[1] توصل إلى أن الحكم المطلق خطر كبير[2]وأن خير وسيلة لمقاومة أوروبا هو النهوض بالبلاد وإصلاح الأنظمة العتيقة[3] أحدث بمقتضى الدستور الأكبر ،النواب الذي ضم ستين عضوا والذي ترأسه مصطفى صاحب الطابع وعين خير الدين نائبا لرئيسه لفترة قصيرة [4]،قام بدراسة المبادئ العامة للحق العام (حق الإنتخاب) ،وطريقة اشتغال الغرف النيابية دور الأغلبية ، ومسؤولية الوزراء في عدة دساتير أوروبية ، وقام بعرض سلبيات السلطة الشخصية (خطركبير)فساهم في تغيير النظام. [5]

وخلال رئاسته للمجلس برزت خلافاته ومعارضته للوزير الأول مصطفى خزندار بشأن إدارة الأموال العمومية ، ولم يتمكن خير الدين من زعزعة نفوذ هذا الوزير فاستقال من الرئاسة ومن وزارة البحر وكان ذلك في 23نوفمبر 1862 م . [6]

ونتعقب أثر فكر خير الدين التونسي على البلاد التونسية في هذه المرحلة فنعثر في بعض المواقف التي تبناها على ملامح هامة من فكره السياسي الجديد ، بتعلق متين بإضفاء الطابع القانوني على هياكل ومؤسسات وإجراءات الدولة [7]، وبعد إنسحاب خير الدين خلا الجو لمصطفى خزندار فألغى المجلس النيابي ، وعادت الأمور إلى مجراها ، حتى بلغت البلاد درجة الإفلاس[8] ،ومن ناحية أخرى تدخلت الدول الأوربية تريد المحافظة على ديونها واقترحت فرنسا تشكيل لجنة مالية دولية لهذا الغرض ،ووافقتها إنجلترا وإيطاليا ، وصدر مرسوم الباي سنة 1969لتشكيلها.

---

[1]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ج1،ص 225.

[2]عبد القادر دوحة ، المرجع السابق ، ص 251.

[3] علال الفاسي ، الحركات الإستقلالية في الغرب العربي ،ط6 ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،2003، ص42.

[4]عبد القادر دوحة، المرجع نفسه ، ص ص 251-252.

[5]Demeerseman .«AuscBereaau des premieres ReformesdemocratiqueenTunisieInstitu des Belle lettrearabe (IBLA).n°80 ,4ème Tri ,1957,p02 .

[6]محمد بيرم الخامس ، المصدر السابق ،ص 510.

[7]الزوادي ، المرجع السابق ،ص 128.

[8]احمد أمين ،زعماء الإصلاح ، المرجع السابق ، ص 165.

يتضح أن خير الدين قبل رئاسة اللجنة المالية الدولية راجع لتحمسه الشديد لمقاومة التيار الإستعماري على جميع الأصعدة خاصة السياسية[1] ،فأفكار خير الدين المتبلورة من جراء إحتكاكه بالحضارة الغربية ، انعكست على البلاد التونسية في هذه المرحلة في محاولة صد النفوذ الأوروبي بالنفوذ التركي[2] وبداية تجسيد أفكاره الإصلاحية وآرائه السياسية في إصلاح الدولة و المجتمع.

مرحلة الوزارة الكبرى : أول عمل لخير الدين في هذه لمرحلة هو فصله بين اللجنة المالية الدولية ومالية الحكومة وذلك من أجل الحفاظ على إستقلال المالي من جهة واقتصاد البلاد من جهة أخرى ومن ناحية أخرى إبعاد التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للبلاد خاصة في المجال السياسي والمالي ، والحفاظ على سيادتها إضافة إلى ذلك على الباي بتوظيف رئيس اللجنة كوزير برتبة وزير أكبر مثلما هو معمول به.[3]

وقام بنقل شؤون اللجنة إلى مقر الوزارة لتوحيد مصدر القرار وجعل اللجنة كجهاز من أجهزتها مما يقلل من هيمنة الأجانب عليها ، فوظفه (خير الدين)الباي وسماه وزيرا مباشرا ، وصاحب ذلك تنظيم دوائر الوزارة الأولى عن طريق مرسوم بايلكي سنة1871م بايعا زمن خير الدين وكانت الهيكلة الجديدة بأن تجعل تلك الوزارة الكبرى تصب فيها جميع الأنشطة الإدارية ثم قسم إدارة هذه الوزارة إلى أربعة أقسام على رأس كل منها مستشار.[4]

أما في ميدان نشاطات خير الدين الخارجية فقد سعى بكل ما لديه من نفوذ إلى طبع العلاقة مع الدول الأجنبية بطابع الإحترامالمتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، و وصف خير الدين في مذكراته علاقته مع القناصل الأوروبية وصيغ التصدي لمحاولاتهم لتوسيع دائرة تأثيرهم في تونس بقوله :«... **لقد حددت لنفسي طريق لسلوك مع قناصل لا تقبل المناورات المعهودة في بلدان الشرق ،فكنت أقبل مطالبهم الواضحة والعادلة وأرفض كل مطالبهم الخسيسة معللا رفضي حتى يقبلوه** ...». [5]

---

[1] محمد السنوسي ، الرحلة الحجازية ، تح :علي الشنوفي ،ط1، الرائد التونسية للنشر والتوزيع ،تونس ،1976،ج1 ، ص ص 120-121.

[2] أحمدة الخوة ؛ رضا سعيد ، خير الدين في تقارير معاصريه والدراسات الحديثة ، مجلة الحياة الثقافية ، ع60 ،1991 ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، تونس ، ص 97.

[3] عبد القادر دوحة ،المرجع السابق ،ص254.

[4] عبد القادر دوحة ،المرجع السابق ، ص 255.

[5] نفسه ، ص 257.

ومن خلال ما تطرقنا له يثار في هذه المرحلة تقلد فيها خير الدين رأس الطبقة الأولى في الدولة إشكالا لدى الدارسين يتمحور حول مدى إخلاص هذا الرجل لآرائه التي بلورها في مقدمة كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك[1] ،وقد وقعت في مدته على قصرها إصلاحات كثيرة في الميدان السياسي بالوزارة وسائر جهات البلاد وحصلت بذلك راحة نسبية[2] ،بسبب النهج السياسي المتوازن الذي أقامه مع الدول الأوروبية[3] ،وبذلك بدت سياسته كأنها نابعة من وعي لكيان تونس وبمصالح دولته داخليا وخارجيا وذلك من أهم مميزات الحداثة السياسية .

المبحث الرابع: تداعيات إخفاق خير الدين في حركته السياسية الإصلاحية على المجتمع التونسي.

تداعيات إخفاق حركته الإصلاحية السياسية في تونس :

تعددت أسباب فشل الإصلاحات خير الدين باشا بتونس خلال القرن 19م ومنها ما هو ذاتي ومنها ما هو خارجي ؛ ومن دواعي الفشل الفساد المالي الذي عانت منه تونس تلك الفترة (قرن19) أزمة خانقة واجهتها بسبب فساد السلطة وتراخي الباي عن مواجهتها ، فقد كان في السلطة رجلان فاسدان هما مصطفى خزندار و مساعده ممود بن عياد مدعومان من طرف باي تونس سلبا ونهبا وأغرقا البلاد والعباد في أزمة تراكم الديون وصلت البلاد لحافة الإفلاس ولم تعد قادرة على أداء رواتب الموظفين والجنود هذا ما أدى لتدخل الدول الأوروبية لتشكيل الكوميسون المالي 1869م لتحصيل قروضهم وهي لجنة مكونة من ثلاثة دول (فرنسا –إنجلترا – إيطاليا) يرأسها خير الدين مهمتها تحديد الديون وطريقة إستيفائها (وللخروج من الأزمة عزل خير الدين الوزير مصطفى خزندار وتمت محاكمته وتغريمه). [4]

وكذلك عجز خير الدين عن الوقوف أمام الإديولوجية المغلقة التي كانت ترفض الآخر فقد ساعدت هذه النظرة على معارضة الإصلاح بإعتباره مشروعا وضعيا ومعاديا ، فاللغرب في مخيلة العربي هو العدو والنصراني والإقتداء به يعد بدعة وكفرا ، وترجع محدودية خير الدين أيضا إلى عوامل

[1] ألبرت حوراني ، المرجع السابق ، ص 103.

[2] إبراهيم شبوح ،«**ترجمة جديدة لخير الدين للأمير آلاي محمد القروي 1941/1842**» ، مجلة الحياة الثقافية ، ع 60،1991 ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، تونس ،صص 61-62.

[3] عبد القادر دوحة ، المرجع نفسه ، ص 257.

[4] أرشيف مجلة البيان ، المرجع السابق ،ص 10.

أهمها سوء الحالة الإقتصادية والحالة العامة للبلاد إضافة إلى طبيعة النظام الذي لم يكن يساعد على تطبيق الإصلاح[1] وكذا إنعدام تحمس الأهالي للمشروع الإصلاحي مما أضعفه وجعله مرشحا للهزيمة السياسية .[2]

كما ساهم فشل المحاولات السياسية الإصلاحية في تونس في تزايد التغلغل الأجنبي لينتهي الأمربدخولها مرحلة جديدة بالأخر الاوروبي هي مرحلة الإستعمار إذ تم فرض الحماية على تونس ليتم الكشف عن الوجه الجديد ميزته استغلال البلاد والعباد. [3]

و لذلك نجد علال الفاسي يقول :«**إصطدام خير الدين أثناء تطبيق آرائه الحديثة في تونس بعقبتين كبيرتين أولهما إستبداد الوزير مصطفى خزندار وثانيهما مشايخ الدين الذين لهم نفوذ مطلق على ذهنية الأمة مع عامل ثالث تخوف الشعب من الإصلاحات التي كانت تقتبس من الغرب باعتبارهم انكل شيئ غربي يمس بكيان الأمة ووجودها**».[4]

و يمكن القول بأن إستراتيجية الغرب الإستعماري قد نجحت خلال القرن 19م في تفخيخ العمل الإصلاحي ، وترصد إفرازات ذلك التفخيخ مع خير الدين من قبل رجال الدين المحافظين المعاصرين له[5] ؛ كما لم ينجز خير الدين خلال الفترة التي قضاها على رأس الحكومة (1877–1873)برنامجا نابعا بشكل كلي من المفاهيم والنظريات والتحاليل التي أثبتها في مؤلفه أقوم المسالك ..، بل أنجز ما أمكن إنجازه وحاول الإصلاح أي أنهعمل في أفق الفشل المحتوم وهو ما جعله غير قادر على تنفيذ ما رسمه من أهداف وتحقيق أغراضه الإصلاحية . [6]

إن التفكير في خصوبة الهزيمة السياسية يحليلنا إلى إثراء هذه التجربة التي خاضها خير الدين على ضوء ما جدده من منطلقات فكرية في مؤلفه أقوم المسالك ...وإلى ماتركه للأجيال التي لحقته من الإصلاحيين من دروس وعبر سلبية كانت أم إيجابية ناجمة عن ظروف عجزه على تحقيق برنامجه [7]

---

[1]حبيب حس اللولب ، المرجع السابق ،ص ص 55–56.

[2]زهير الذوادي ، الإستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية ، المرجع السابق ، ص6 .

[3]أرشيف مجلة البيان ، المرجع السابق ،ص 10.

[4]علال الفاسي ،المصدر السابق ،ص 42.

[5]زهير الذوادي ، خصوصية الفشل ... ، المرجع السابق ، ص 188.

[6]زهير الذوادي ،الإستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية، المرجع السابق ، ص 133.

[7]زهير الذوادي ،خصوصية الفشل ...،المرجع السابق ، ص190.

و باستقالة خير الدين إنتهت كل المحاولات الإصلاحية الهادفة على إنقاذ الإيالة من خطر السقوط تحت النفوذ الإستعماري كما أنه لم يكن في وسع خير الدين أن يصلح أوضاعا فسدت وتردت على مدة طويلة خلال فترة وجيزة لم تتجاوز سنوات قضاها في البحث عن وسائل التي تجعل مبادرته ممكنة التحقيق في مناخ سياسي وثقافي غير ملائم . [1]

نستخلص في الأخير أن الظروف التاريخية التي ترأس فيها خير الدين الحكومة لم تكن تسمح بتحقيق الأهداف الإصلاحية التي رسمها في كتابه أقوم المسالكومن إنعكاسات إصلاحاته على المجتمع التونسي نجد :

- سن العديد من التشريعات التي تمنح الإصلاح والتطور وتنظيم إدارة الوزارة.
- قاوم الحكم الإستبدادي وحرس على تطبيق العدل ونشر الوعي بين الناس .
- قام بإصلاح لباس الجيش البحري ، وقام بعقد إتفاقيات مع الأجانب بهدف حفظ الأراضي التونسية.

والجدير بالذكر أنه وضعت صورته على ورقة نقدية من فئةالعشرين دينار ، كما أصدر البريد التونسي عدة طوابع موشحة بصورته[2] ، وحولته إلى عمل وطني في أفق حداثي.[3]

[1] زهير الذوادي ،الإستعمار والحركة الإصلاحية ، المرجع السابق ،ص 163.

[2] أميرة ، إصلاحات خير الدين باشا ، زيارة في 26 مايو 2021، مقال عبر الرابط التالي :
https://www.zyadda.com/khairuddin-pasha-reforms/

[3] زهير الذوادي ، المرجع السابق ، ص 133 ؛ **وللمزيد ينظر** :الصافي سعيد بورقيبة ، سيرة شبه محرمة ،رياض الريس لنشر ،بيروت ،2000، ص ص 31-32.

خاتمة

الخاتــمة (الاستنتاجات):

اعتمادا على ما تم تناوله في هذه الدراسة وإستنادا على الخطة المدرجة توصلنا لعدة إستنتاجات، و تطلبت دراستنا التوقف على أهم المحطات التاريخية الآتية :

- لقد شكل خير الدين التونسي نموذجا حيا للمصلح السياسي فالمنهج المتبع لهذه الشخصية التحديثية لابد له من التسليم بأنه أبو النهضة ورمز الإصلاح في تونس خلال القرن 19م ،حافل بالتغيرات الداخلية والخارجية المهددة باستقلالها . وبروز نهضة فكرية سياسية أوروبية والثورة الصناعية أضحت المنطقة محل تنامي الأطماع لبسط النفوذ والهيمنة في تلك الفترة تمكن من تغيير الأوضاع خاصة السياسية لأفضل حال .
- تميز خير الدين بحبه لوطنه المتبنى له والدفاع عن مصالحه وبطاقة فكرية ووطنية إصلاحية جعلته ذو تجربة فذة مكنته من أن يتصدر الساحة السياسية في تونس العثمانية ويترأس المصلحين العرب والمسلمين في فترة تاريخية كانت تموج تقلبات خطيرة فاحتل ارثا ومكانة هامة في الصرح الوطني كما عرف فكره رواجا منذ بدايته بفضل حنكته وذكائه تولى ريادة المناصب السامية في البلاد التونسية من خلال منطلق الإصلاح من الداخل فاعتلى قمة الهرم التونسي في نصف القرن 19م.
- يعد مؤلفه الشهير "**أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك** " من أهم ما ألفه في فترة إصلاحه الذي نال رواجا بين المثقفين العرب وأهمية لدى المشارقة ، كما يعتبر من الكتب المحللة لأوضاع العالم الإسلامي في القرن 19م سعى خير الدين باشا الاستخباراتي من خلال مؤلفه لأخذ ما ينفع الأمة الإسلامية تحذيرا لهم من صفعة الدول الإستعمارية الأوروبية والطامعة في تونس و التصدي للمعارضة الداخلية للإصلاح وما صاحبها من إنحطاط.
- دعى للتغيير والحداثة كتيار معاصر ليبرالي لما يراه صالحا وموافقا للعدل والإعتدال متأثرا بالنهضة الأوروبية و أنظمتها السياسية ، كما أعجب خير الدين بالفكر الإصلاحي الخلدوني في فكرة العدل أساس العمران وصورها بصفة ملموسة عند مباشرته للسلطة وتطبيق أفكاره .

- إهتم بدراسة عوامل التطور الأوروبي وأسباب تخلف الدول الإسلامية بعد تطلعه في الفكروالعلوم داعيا لضرورة الإرتباط بالإمبراطورية العثمانية لرد أطماع الإستعمار حيث لا تزال النخب التونسية على إختلاف مشاربها مجمعة على إعتباره الوتد المتين للجهد الإصلاحي .
- دعا لضرورة الإقتباس من أوروبا في التنظيمات السياسية التي نجحت لديهم وحققت رقيا حضاريا ومكانة سياسية مرموقة ، من خلال البعثات التي قام بها للدول الأوروبية وحلل نقاط قوتها وضعفها ، عوامل تقدمها وتأخرها التي بلورت حسه الإصلاحي كما أنه لم يدعو للتقليد الأعمى للغرب رافضا المطلب الأوروبي الرامي لهدم الذاتية العربية الإسلامية نابذا الحكم المطلق في المجالس السياسية .
- إرتكز برنامج خير الدين الإصلاحي على ثلاثة محاور ، الحرية أساس العمران الإيمان بعدم التعارض بين الإسلام و الحياة العصرية والتسليم بحتمية التطور.
- حاول تجسيد نظام الوزارة الأوروبي على البلاد التونسية عندما كان وزيرا مباشرا 1873م كون الحكم مقيد بالقانون يعود بالفائدة على الرعية والدولة ، وناهض الحكم الإستبدادي بها القائم على حكم فردي سواء في تونس أو في الأستانة من خلال سعيه للحد من سلطات الباي و السلطان عبد الحميد وإنشاء مجلس شورى منتخب في تونس يتمتع بإصلاحات واسعة .
- خطاب خير الدين الإصلاحي إرتكز على نقطتين الأولى تجلت في تحديث مؤسسات الدولة وإقاماتها بإصلاحها من الداخل ليس من الخارج ، والنقطة الثانية مواجهة الغزو الغربي الهادف لنهب ثروات المسلمين وطمس شخصيتهم .
- إستطاع خير الدين التونسي التوفيق في خطابه الإصلاحي بين المصدر اللأول الإسلام ، والمصدر الثاني الغرب و بالتالي لم يشعر القارئ أو الباحث بأنه قد مسته عقدة النقض أو التبعية للغرب وإنما كان منطلقه من نظرة إنسانية حاملة لمعاني الصدق في حب خير الدين للوطن وفي الأخير سارت الأمور في تونس عكس ما تمناه خير الدين .

- حيكت ضد خير الدين باشا بسبب افكاره ومواقفه عدة دسائس ومؤامرات تجلت في إستراتيجية السياسية الغربية والطامعة في بلاده نجحت في تفخيخ عمله الإصلاحي وتصدي من مشايخ الدين ذوي النفوذ المطلق على هذه الأمة ، و طبيعة النظام السياسي المطلق أجهض حركته الإصلاحية السياسية ليستقيل من الحكم .

- وفي الاخير نقول هل انتهت حركة الاصلاحية بتونس باعتزال خير الدين التونسي أم ضلت مستمرة ؟ وهل كان هناك خليفة رفع راية الاصلاح بعد خير الدين ؟

الملاحق

الملحق (1) :صورة محمد الصادق باي

المشير محمد الصادق باي بالتاج الحسيني بثلاث طغراءات.
(صورة تنشر لأوّل مرّة)

(**ينظر** :محمد بن الخوجة ، المصدر السابق ، ص 87.)

الملحق (2):صناعة الشاشية بالبلاد التونسية .

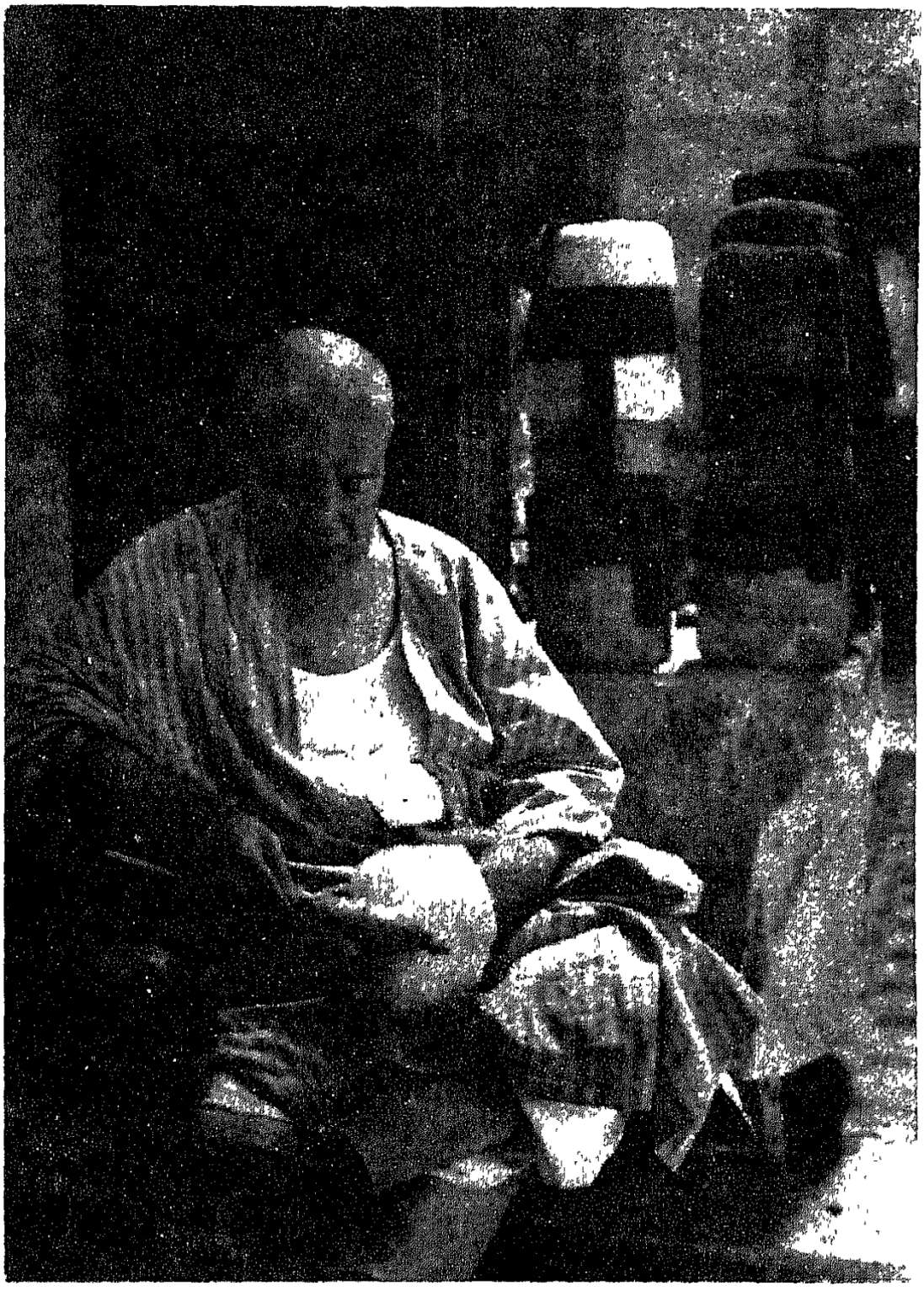

(**ينظر** :أحمد القصاب ، تاريخ توني المعاصر (1881–1956) ، تع : حمادي الساحلي ، ط1 ، الشركة التونسية لتوزيع ، قرطاج–تونس ، 1986م ، ص 178.)

الملحق (3):استحواذ فئة اليهود والتجار الأوربيون على التجارة بتونس .

الاملاك الأُروبية بالبلاد التونسية
في سنة 1921
(بحساب الهكتارات)

منطقة التـــل

الفرنسيون	الإيطاليون	المالطيون	غيرهم من الاروبيين	المجموع
305. 000	43. 600	9. 500	9. 600	367. 700

الساحل والسباسب السفلى وصفاقس

208. 500	16. 800	400	1. 800	227. 500

السباسب العليا والجنوب التونسي

40. 250	320	1390	–	42. 230

مجموع البلاد التونسية 640. 980 هك

(**ينظر** :أحمد القصاب ، المرجع السابق ، ص 91.)

الملحق (4):نزول قوات الاحتلال الفرنسي بتونس (1881–1883م) .

تحرّكات قوات الاحتلال (1881 – 1882)

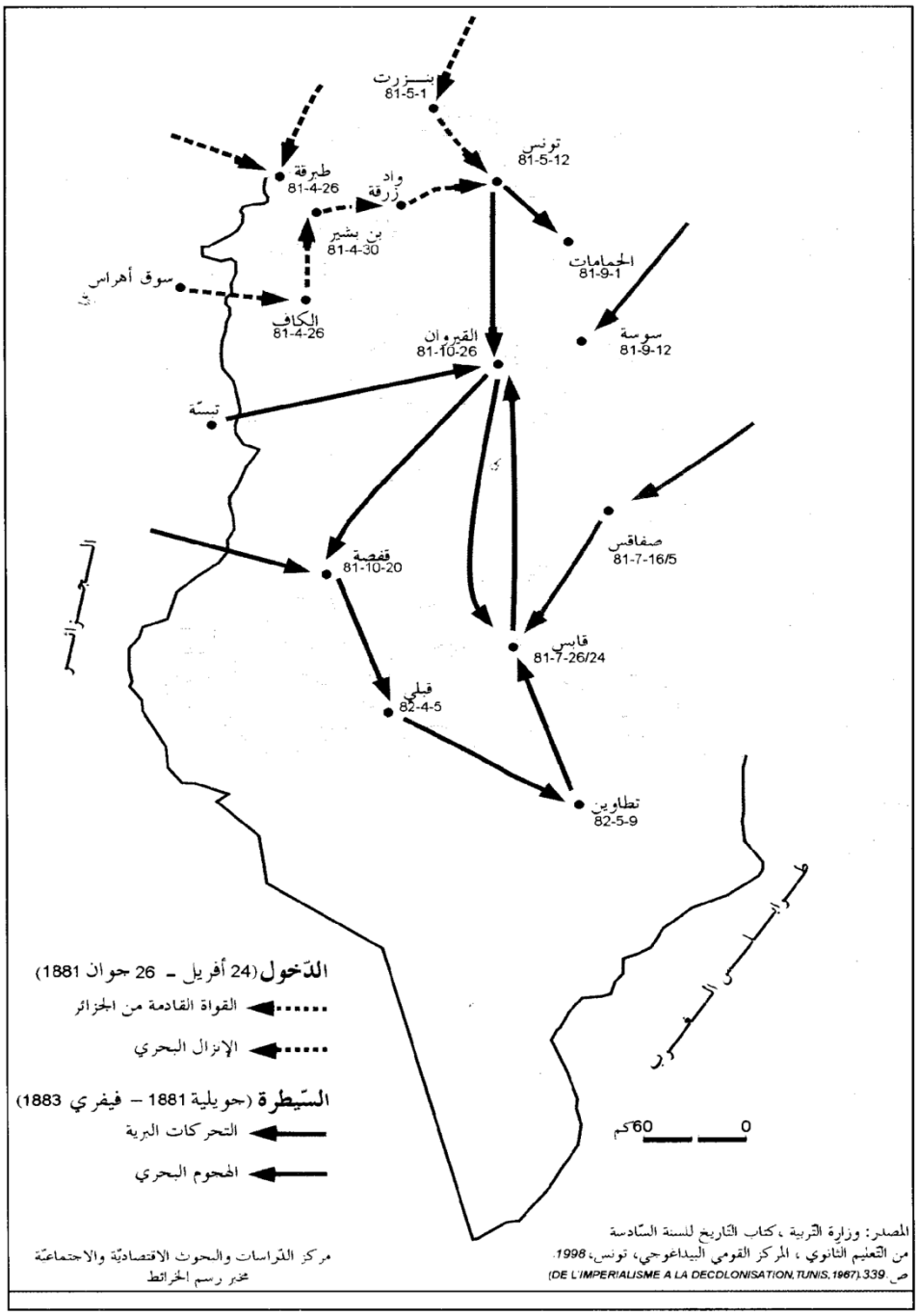

(**ينظر** :خليفة الشاطر ، المرجع السابق ، ص19.)

الملحق (5) :معاهدة باردو (قصر السعيد)

معاهدة باردو أو «قصر السعيد»

«إنّ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو باي تونس – لما كان من غرضهما أن يمنعا إلى الأبد حدوث قلاقل كالتي حصلت أخيرا على حدود الدولتين بسواحل المملكة التونسية وأن يحكما علاقات وداديهما القديم وروابط حسن الجوار – قد اتفقتا على عقد معاهدة من شأنها تحقيق مصالح كلا الجانبين الساميين المتعاقدين. وبناء على ذلك فإنّ فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية قد عيّن العماد بريار نائبا مفوضا من طرفه فاتفق جنابه مع سموّ الباي المعظم على البنود الآتية :

البند الأول : إنّ معاهدة الصلح والمودة والتجارة وجميع المعاهدات الأخرى الموجودة الآن بين الجمهورية الفرنسية وسمو باي تونس قد وقع تأكيدها وتجديدها.

البند الثاني : لأجل تسهيل القيام بالإجراءات التي يتحتّم على دولة الجمهورية الفرنسية اتّخاذها للوصول للغرض الذي يقصده الجانبان العاليان المتعاقدان فقد رضي سمو باي تونس بأن تحتلّ القوات الفرنسية العسكرية المراكز التي تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل، ويزول هذا الاحتلال عندما تتفّق السلطتان الحربيّتان الفرنسية والتونسية–، وتقرّران معا بأن الإدارة المحليّة قد أصبحت قادرة على المحافظة على استتباب الأمن العام.

البند الثالث : تتعهد دولة الجمهورية الفرنسية ببذل مساعدتها المستمرة لسمو الباي وحمايته من كلّ خطر يمكن أن يهدّد ذاته أو عائلته أو يعبث بأمن مملكته.

البند الرابع : تضمن الدولة الفرنسية تنفيذ جميع المعاهدات المعقودة بين السلطات التونسية ومختلف الدول الأوروبية.

البند الخامس : يمثل الدولة الفرنسية لدى سمو الباي وزير مقيم عام تكون وظيفته السهر على تنفيذ هذه المعاهدة ويكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية وبين السلطات التونسية في جميع القضايا التي تهمّ الجانبين.

البند السادس : يكلف الممثلون الدبلوماسيون والقنصليون لفرنسا في البلاد الأجنبية بحماية رعايا المملكة التونسيّة ومصالحها. وفي مقابل ذلك يلتزم سمو الباي بأن لا يعقد أي عقد ذي صبغة دوليّة من دون إعلام الدولة الفرنسية بذلك والحصول على موافقتها مقدّما.

البند السابع : تحتفظ دولة الجمهورية الفرنسية ودولة سمو الباي لنفسها بحقّ الاتفاق على وضع نظام مالي بالمملكة التونسيّة من شأنه الوفاء بواجبات الدين العام وضمان حقوق دائني المملكة.

البند الثامن : تفرض غرامة حربيّة على القبائل العاصية بالحدود والسّواحل وتحدّد قيمة هذه الغرامة وطرق جبايتها باتفّاق يعقد فيما بعد وتكون حكومة الباي هي المسؤولة على تنفيذ هذا الاتفاق.

البند التاسع : لأجل صيانة ممتلكات الجمهورية الفرنسية بالقطر الجزائري من تهريب الأسلحة والذخائر فإن دولة سمو الباي تتعهّد بأن تمنع قطعا إدخال السلاح والذخائر الحربيّة الأخرى بالمملكة التونسية.

البند العاشر : يقع عرض هذه المعاهدة على دولة الجمهورية الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق عليها بعد ذلك لسمو باي تونس في أقرب وقت ممكن.

وكتب بالقصر السعيد في 12 ماي 1881

الإمضاء : محمد الصادق باي- العماد «بريار»

(**ينظر** :خليفة الشاطر ، المرجع السابق ، ص21.)

الملحق (6) :بنود معاهدة المرسى الكبير .

«اتفاقية المرسى»

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لّما كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربيّة.

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : **على باي /«بول كامبون»**

(**ينظر** :خليفة الشاطر ، المرجع السابق، ص22.)

الملحق (7) : صورة خير الدين باشا .

(**ينظر** : أحمد طويلي ، بناة الدولة التونسية الحديثة : حمودة باشا وأحمد باي و خير الدين ، ط1 ، المغاربية لطباعة واشهار الكتاب ، تونس ، 2019م ، ص 46.)

الملحق (8) : صورة خير الدين باشا .

أحمد باشا باي الثاني

(ينظر : محمد بن الخوجة ، المصدر السابق ، ص 34.)

الملحق (9) : صورة للوزير مصطفى خزندار.

(**ينظر** :أحمد الحمروني ، كاتب وكتاب مصطفى خزندار لعادل كوكي ، جريدة الشروق التونسية ، 07 اوت 2021، جريدة الكترونية تمت زيارة الموقع في 18 ماي 2022 عبر الرابط التالي :
https://www.alchourouk.com/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9)

الملحق (10) : وثيقة مضاعفة المجبى التي فرضها الباي محمد الصادق على الشعب التونسي في 10سبتمبر 1857م.

مضاعفـــة «المجبـــى»

1) مجلس الباي ينظر في رفع الجباية

« ثمّ جمع الباي رجال مجلسه الخاص وتكلّموا في شأن زيادة الدخل مرارا عديدة، مع الإعراض عن (...) تنقيص المصروف كلّ الإعراض، ومن حام حوله رشقته سهام الاعتراض، حتّى قال أمير الأمراء أبو عبد الله حسين رئيس المجلس البلدي، وهو من أفراد المجلس الخاص، بلسان فصيح : *يا سيّدي إنّ هذه المملكة لا قدرة لها على احتمال شيء زائد، وهي من الموجود الآن في خطر، فحالها كحال البقرة إذا حُلب ضُرعها حتى خرج الدم، فهي الآن (...) ينزو ضرعها بالدم، وولدها بمضيعة، والعطب أقرب إليها من السلامة.*»

وذلك أنّ هذا المجلس الخاص مختلف الإنظار، (...) ومنهم من يرى أنّ الرعية لاسيما العربان، في ثروة وغنى، لقلّة ما يلزمهم من مصارف الحواضر، (...) ومنهم من يرى أنّ العربان إذا كثر مالهم ساء حالهم، وفي ثقل الجباية خضد لشوكتهم وكبح لهم عن العصيان (...)».

2) قرار مضاعفة «المجبى» أو«الإعانة»

«ولم يزل الباي مع مجلسه يتحاورون في هذا الامر العظيم والمرتقى الصعب، إلى أن قال بعض من يشار إليه في هذا المجلس (...) «إنّ الرأي سهل، وهو أن مال الإعانة يزاد عليه مثله، ويكون عاما في سائر بلدان المملكة، من غير استثناء ولا اعتبار لحال الدافع» وهذه الكلمة تلقفها من رئيس اليهود والقبّاض، نسّيم بيشي. ولما تمّ مقاله قابله الباي بالاستحسان ودعا له بتكثير أمثاله في الأعيان، فوجم الحاضرون لهذه النتيجة التي هي ضدّ لجميع ما خاضوا فيه (...) حتّى اضطرّ خير الدّين إلى أن قال للباي بالمجلس : *يا سيّدي، إن أخفيت ما ظهر لي في نصح سيّدي وبلادي أكون خائنا لأمانة الاستشارة، أرى أنّ هذه الزيادة في مال الإعانة تؤدّي إلى زوالها بالمرّة، أو تلجئ إلى مال أكثر منها لتجهيز الجيوش لغصب النّاس، ولا نجد في السنة التي بعدها ما يقرب الإعانة الأولى، هذا باعتبار القدرة على الغصب*».

أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،
الجزء الخامس، الصفحات : 128 و129 و130.

(**ينظر** :خليفة الشاطر ، المرجع السابق ، ص13.)

الملحق (11) : المدرسة الصادقية1875م .

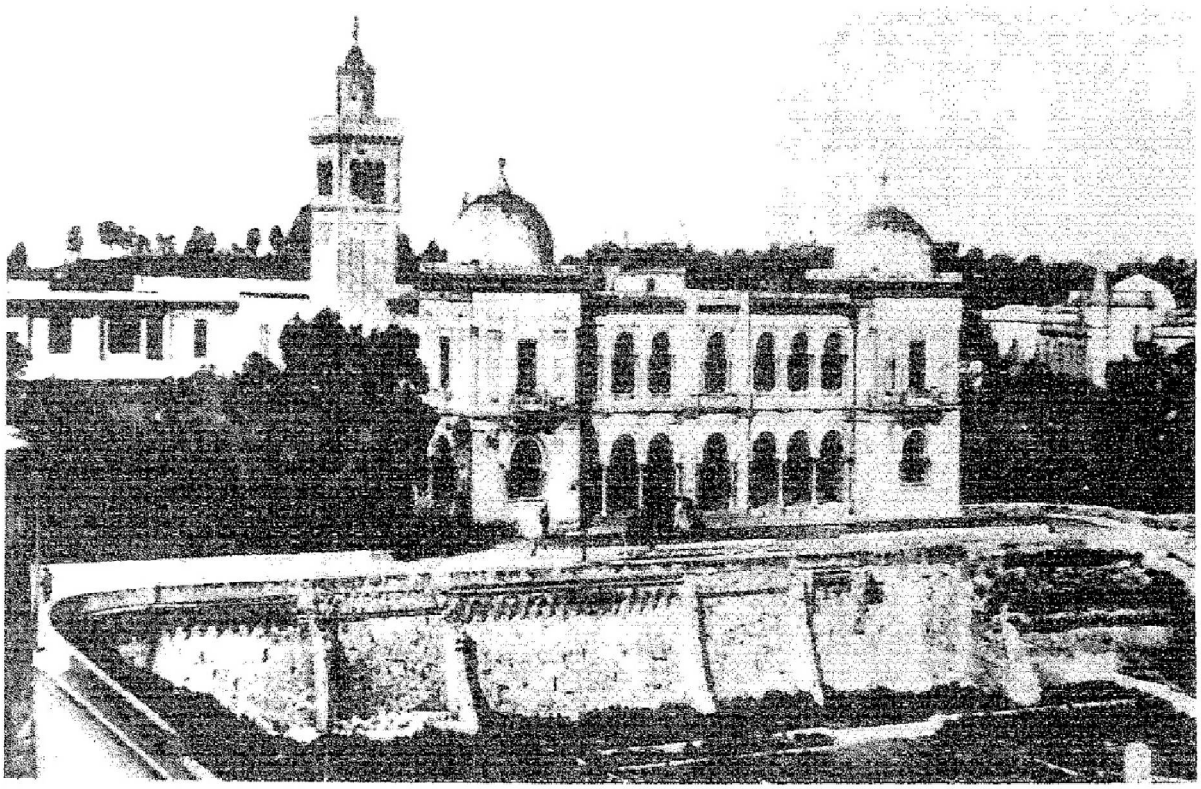

المدرسة الصادقية

(**ينظر** :محمد بن الخوجة ، المصدر السابق ، ص 318 .)

الملحق (12) : صورة الغلاف الداخلي لكتاب اقوم المسالك في معرفة احوال المماليك لخير الدين التونسي .

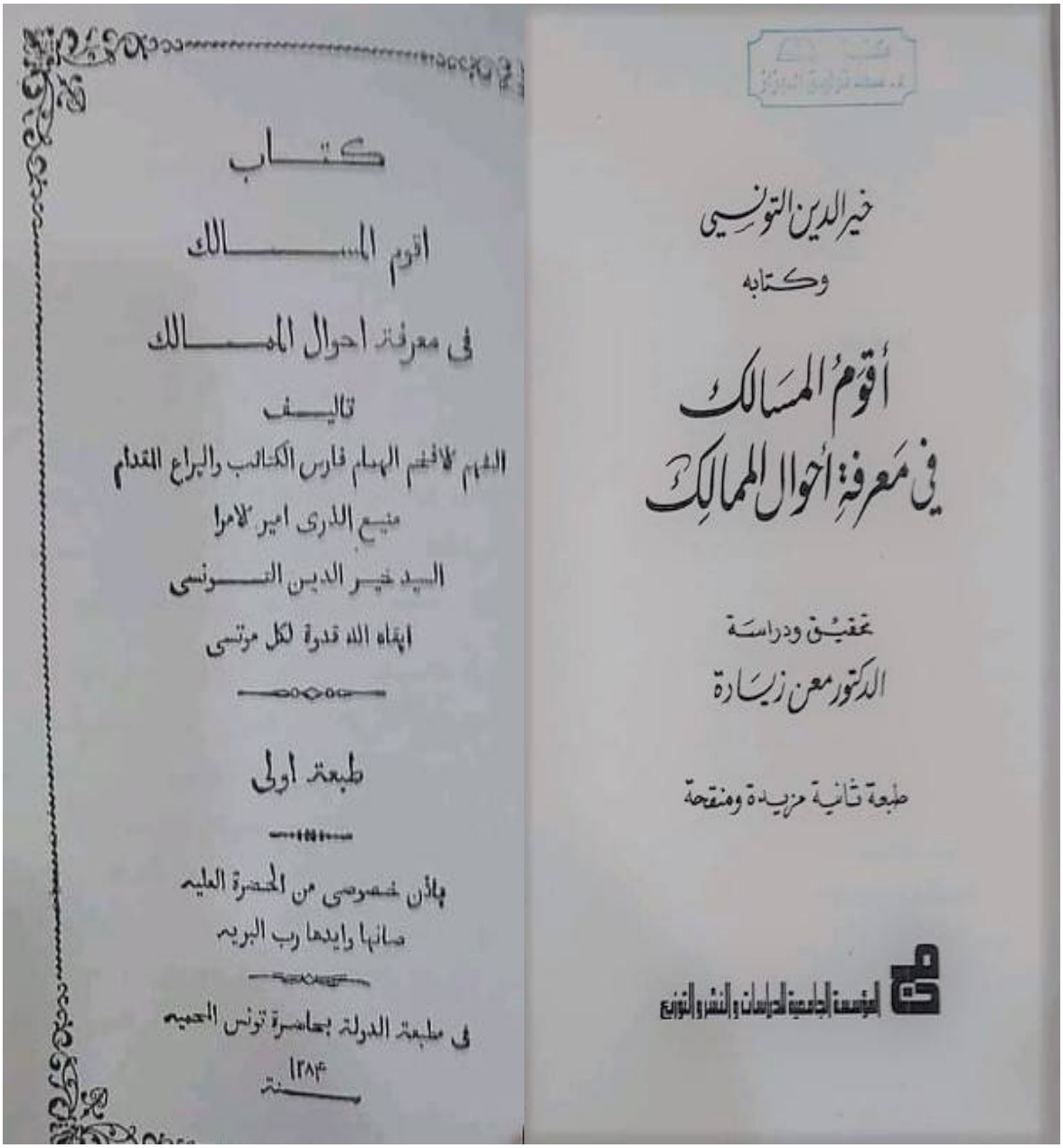

كتاب

اقوم المسالك

فى معرفة احوال الممالك

تاليف

الفهم الافخم الهمام فارس الكتائب والبراع المقدام

منبع الذرى امير الامرا

السيد خير الدين التونسى

ابقاه الله قدوة لكل مرتسى

طبعة اولى

باذن خصوصى من الحضرة العليه

صانها وايدها رب البريه

فى مطبعة الدولة بحاضرة تونس المحميه

سنة ١٢٨٤

خير الدين التونسي

وكتابه

أقوم المسالك

في معرفة أحوال الممالك

تحقيق ودراسة

الدكتور معن زيادة

طبعة ثانية مزيدة ومنقحة

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

(**ينظر** :خير الدين التونسي ، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، تح : معن زيادة ، ط2 ، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ، 1985م ، ص143.)

الملحق (13) : صورة تبين نموذج محتوى كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال المماليك لخير الدين التونسي .

٨٦٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من جعل من نتائج العدل العمران * وفضل بالعقل نوع الانسان * واهله به لحسن التدبير ومراتب العرفان * وامره بالتعاون على البر والتقوى دون الاثم والعدوان * أَحْمَدُهُ وهو المحمود فى كل آن بكل لسان * واصلى على عبده سيدنا محمد المرسل بالكتاب والميزان * المنزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان * وعلى آله واصحابه حفاظ شريعته اللائقة بكل زمان * الدائرة احكامها على مركزى الايمان والامان * امـــا بعد فيقول جامع هذه الورقات * ارشده الله الى اقوم الطرقات * انى بعد ان تاملت تاملا طويلا * فى اسباب تقدم الامم وتأخرها جيلا فجيلا * مستندا فى ذلك لما امكن تصفحه من التواريخ الاسلامية والافرنجية * معما حرره المولفون من الفريقين فيما كانت عليه وآلت اليه الامة الاسلامية * وما سيؤول اليه امرها فى المستقبل *

تمّ إعداد نسخ رقمية بواسطة Google

(**ينظر** :خير الدين التونسي ،اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك، ط1 ،مطبعة الدولة ، تونس ، 1867م، ص 02.)

الملحق (14) : صورة تبين نموذج من تقارير كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال المماليك لخير الدين التونسي .

بسم الله الرحمن الرحيم * وصلى الله على سيدنا محمد

تقاريظ الكتاب

الحمد لله الملهم للصواب * المذلل لعباده الطرق الصعاب * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المرسل بافضل كتاب * وعلى ءاله وازواجه وذريته وكافة الاصحاب * وبعـــــد فلما نشر سابقا بعض هذا الكتاب بعث لحضرة المولف بعض السادة الاعيان من ذوى الخطط وارباب المراتب الدينية والسياسية بالحاضرة تقاريظ نفسية اشعارا باستحسانه فخاطب مدير المطبعة بما نصه اما بعد فان بعض اخواننا من اهل الحاضرة اطلعوا على ما نجز طبعه من كتابنا اقوم المسالك فى معرفة احوال الممالك الذى كلفتم بطبعه وكاتبونا بالمكاتيب الواصلة لكم المتضمنة استحسان ما اشتمل عليه وقد حصل لنا السرور العظيم بذلك حيث راينا مبادى نجاح سعينا فى جمعه وتحصيله بتوجه همم مثل هولاء الفضلاء اليه ولاظهار شكرنا لفضل الاعيان المذكورين

تمّ إعداد نسخ رقمية بواسطة Google

(**ينظر** :خير الدين التونسي ، المصدر السابق ، ص470.)

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصـادر والمـراجع (بيبليوغرافيا) :

- **القرآن الكريم**
- **المصادر :**

– أ – المذكرات :

1- التونسي خير الدين ، مذكرات خير الدين باشا ، تح و تع : محمد العربي السنوسي ، المجتمع التونسي للعلوم و الآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس –قرطاج ،2008.

– ب – الكتب باللغة العربية :

1- التونسي خير الدين ، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، ط1 ، مطبعة الدولة ، تونس ، 1867م .
2- التونسي خير الدين ، اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك ، تح : معن زيادة ، ط2 ، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ، 1985م.
3- التونسي خير الدين ، أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك ، تح : منصف الشنوفي ،ط2 ، الدار التونسية للنشر ،تونس، 1986.
4- التونسي خير الدين ، أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك ،تق: محمد الحداد ، دار الكتاب المصري –القاهرة–بيروت ، 2012.
5- الثعالبي عبد العزيز ، تونس الشهيدة ،ترقيم وتقديم سامي الجندي ،ط1 ، دار القدس ، لبنان ، 1975.
6- الخامس محمد بيرم ، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار ، تح علي بن الطاهر الشنوفي، ط2 ، بيت الحكمة، تونس ،1999 ، م2.
7- بن خلدون عبد الرحمان ،المقدمة ، دار الكتب العلمية ، ط9 ،بيروت –لبنان ،(د.ت).
8- بن خوجة محمد، صفحات من تاريخ تونس ، تق و تح : حمادي الساحلي؛ الجيلاني بن الحاج يحيى ، ط1، دار الغرب الاسلامي ،بيروت 1986م.
9- الرافعي بك عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ،ط1 ،مطبعة النهضة ،مصر –1929،ج1.
10- السنوسي أبي عبد الله بن عثمان ، مسارات الطريف بحسن التعريف ،تج ،تع :محمد الشاذلي النيفر ، دار ابو سلامة . تونس ،ج1.
11- السنوسي محمد ، الرحلة الحجازية ، تح :علي الشنوفي ،ط1، الرائد التونسية للنشر والتوزيع ،تونس ،1976،ج1 .

12- ابن ابي ضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس و عهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1999، م2 ،ج3 .
13- الطهطاوي رفاعة رافع ، تلخيص الإبريز في تلخيص باريز أو الديوان النفسي بايوان باريس ، تق :الصغير بن عمار ، دار موفم للنشر ،الجزائر ،1991.
14- عبده محمد ، الأعمال الكاملة ، تح و تق: محمد عمارة ، دار الشروق ،ط1، بيروت –لبنان ، 1993 ، ج1.
15- بن عثمان السنوسي أبو عبد الله محمد ، مسامرات الظريف بحسن التعريف ، تح و تع :الشيخ محمد الشاذلي ، النيفر دار بوسلامة ، تونس،(د.ت)،ج1.
16- الكواكبي عبد الرحمان ، طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد ، تح وتق : محمد عمارة ، دار الشروق ،ط1 ، القاهرة –مصر ،(د.ت).

- ج – الكتب باللغة الأجنبية :

1- mongismida , kheredine 1873-1877 , ministrereformateur , M-T.E , Tunis, 1970.

- **المراجع :**

- أ – المراجع باللغة العربية :

1- إبراهيممفيدة محمد ، عصر النهضة بين الحقيقة و الوهم ، دار مجدلاوي ،ط1 ، الأردن ،1999.
2- أحمد صلاح زكي، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث ، مركز الحضارة العربية ،ط1 ، القاهرة –مصر ،2001.
3- إسماعيل عزالدين وآخرون ، نوابغ العرب عبد الحمان الكواكبي ، دار العودة ، بيروت –لبنان ، 1985.
4- الإمام رشاد، التفكير الإصلاحي في تونس في القرن التاسع عشر إلى صدور عهد الأمان ،ط1 ،دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس ، 2010.
5- أمين أحمد ، فيض الخاطر ،خير الدين باشا التونسي ،مؤسسة هنداوي ،1946، ج6.
6- بريش محمد، مفهوم الإصلاح أو نحو إصلاح لفهم المصطلح ،مركز الحضارة الإسلامية ، (د.ط)، القاهرة ،2007.
7- البكوش الهادي، شهادات على الاستعمار والمقاومة في تونس والجزائر والمغرب ، موقم للنشر ،الجزائر ،2013.

8- بلغيت الشيباني ، بحوث ودراسات في تاريخ تونس الحديث و المعاصر ،ط2 ،الأطلسية للنشر ،تونس ، جانفي 2007.

9-بلغيتالشيباني ، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1882-1859) ، تق : عبد الجليل التميمي ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلميوالمعلومات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة صفاقس ،تونس ،نوفمبر 1995.

10- بلهادي عبد المجيد ، تونس الهيمنة الإقتصادية زمن الإستعمار ، المعهد المالي لتاريخ تونس المعاصر ، تونس ،2016.

11- بوذينة محمد،خير الدين باشا (1890-1823/ه1308-1238) ،ط1 ، سلسلة مشاهير 104 ، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم ، تونس ، 1995.

12- بورقيبة الصافي سعيد ، سيرة شبه محرمة ،رياض الريس لنشر ،بيروت ،2000.

13- بوصفصاف عبد الكريم، الفكر الحديث والمعاصر –محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا ،ط1،دار مداد ، قسنطينة – الجزائر ،2009.

14- بيضون جمال ؛ شهادة الناطور علي عكاشة، تاريخ العرب الحديث ،ط1 ،دار الامل للنشر والتوزيع ،(د .ب)،1992.

15- التميميعبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1871-1816) ،تونس .الجزائر .ليبيا ،تق :روبارمنتران ، ط1 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1972م.

16- التميمي عبد الجليل و آخرون ، الحياة الإجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية الموريسكية و التوثيق و المعلومات ، رغوان – تونس ، 1988.

17- ثامر الحبيب ، هذه تونس ،مطبعة الرسالة ، مكتب المغرب العربي ، القاهرة،(د. ت).

18- الجمل شوقي عطا الله ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبيا، تونس ،الجزائر ،المغرب) ،ط1،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة، مصر ،1977.

19- الجمل شوقي عطاالله ، المغرب العربي الكبير : من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ، مصر ،2003.

20- الجميل سيار، تكوين العرب الحديث ، دار الشروق –الأردن ،1997.

21- جوهر حسن محمد ، تونس ،دار المعارف ،مصر ، القاهرة ،1961.

22- حاجي فريد ، الإصلاح و آليته عند إبن العنابي وخير الدين التونسي خلال القرن19، دار كرم الله للنشر والتوزيع ، (د.ب)،(د.ت) .

23- حبيب كمال السعيد ، الأقليات السياسية في الخبرة الإسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (1/1325ه)(621/1908)، مكتبة مدبولي ،ط1، القاهرة – مصر ،2002م.

24- الخضري بك محمد ،إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، مطبعة الإستقامة ، ط4 ، القاهرة – مصر ،(د.ت).

25- خضير إدريس ، التفكير الإجتماعيالخلدوني وآثره في علم الإجتماع الحديث ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2003.

26- درمونة يونس ، تونس بين الحماية و الاحتلال ،مكتبة تونس الحرة، تونس ،(د، ت).

27- الدسوقي ناهد ابراهيم ، دراسات في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،ط1 ، دار المعرفة الاسكندرية كلية الأداب،2011.

28- الدوري عبد العزيز ،النظم الإسلامية ، مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1 ، بيروت –لبنان ،2008 .

29- الذوادي رشيد ، رواد الإصلاح ،ط2 ،نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله ، تونس ،1983.

30- الذوادي زهير ، الإستعمار وتأسيس الحركة الإصلاحية الوطنية التونسية، ط1 ،الأطلعية للنشر ، (د.ب) ، 2006.

31- رائسي إدريس، القبائل الحدودية التونسية –الجزائرية بين الإجارة والإغارة ،ط1 ،المتوسطة للنشر ،تونس ،2016.

32- الرفاعي أنور ، "الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والإجتماعيةوالإقتصادية والفنية "، دار الفكر ،ط2 ،دمشق ، سوريا 1986.

33- زرشناس شهريار ، اللبرالية ، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، ط1 ،2017 م – 1439 هـ.

34- الزمرلي الصادق، أعلام تونسيون ، تق و تع : حمادي الساحلي ،ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت –لبنان 1986.

35- الزموري عبدالحق ، خير الدين التونسي بين الحقيقة وظلها ،ط1 ،ارتحال للنشر و التوزيع ،(د.ب) ،2021 .

36- زيادة معن،الحل السياسي عند رواد النهضة ،في ملتقى الإصلاح والمجتمع المغربي، جامعة محمد الخامس ،المغرب ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،1986.

37- زيادة نيقولا، تونس في عهد الحماية، الاهلية للنشر والتوزيع .(د .ب)،(د. ت)، ج 8.

38- الساحلي حمادي، فصول في التاريخ و الحضارة ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ،لبنان ، 1992م.

39- سعيدوني ناصر الدين ، الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية لولاية المغرب العثمانية ، جامعة الكويت ،2010 .

40- سيف الدين عبد الحكيم عبد الحق ،العلماء والسلطة : (دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والإقتصادية في العصر العباسي الأول)، المكتب الجامعي الحديث ، مصر 2008 /2009م.

41- الشاطر خليفة ، تونس عبر التاريخ : الحركة الوطنية ودولة الإستقلال ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ،تونس، 2005 ، ج3.

42- شاكر أمين ؛ سعيد العريان ، مصطفى أمين ، شمال إفريقيا بين الماضي والحاضر ، دار المعارف ، مصر(د.ت).

43- شاكر محمود ، التاريخ الإسلامي – التاريخ المعاصر: بلاد المغرب ، ط2- المكتب الإسلامي ، بيروت ،1996.

44- شمس الدين نجم زين العابدين، تاريخ العرب الحديث و المعاصر ،ط1 ، دار المسيرة للطبع والنشر والتوزيع، عمان ، 2011م

45- الشناوي محمد العزيز ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،مكتبة الأنجلو المصرية ،مصر ، 2005.

46- الشيخ رأفت ، تاريخ العرب الحديث ،عين الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (د.ب)، 1996م.

47- الشيخ أبوعمران وآخرون ، مشاهير المغاربة ، منشورات دحلب ، الجرائر ،(د.ت).

48- الضيقة حسن ، الدولة العثمانية الثقافة والمجتمع والسلطة ، دار المنتخب العربي ،بيروت – لبنان ، (د.ت).

49- طاهر عبد الله ، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة (1956-1830) ، دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة ،تونس ، 1975.

50- الطويلي أحمد ، رواد الإصلاح في العالم الإسلامي ،الدراسات والبحوث الإقتصادية و الإجتماعية ، بتونس ،2001.

51- عبد الله الطاهر ، الحركة التونسية (رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956) ، دار المعارف ، ط2 ، تونس، (د.ت).

52- عبد السلام أحمد، المؤرخون التونسيون (في القرن 17و18و19)، تر: عبد الرزاق الحليوي ، بيت الحكمة ، تونس 1993.

53- عبد السلام أحمد، مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية ،ط1 ، الشركة التونسية للتوزيع ،تونس 1987 م /1407هـ.

54- عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس ، تق و تح : حمادي الساحلي ، دار الجنوب ، تونس 2001.

55- عبد الوهاب حسن حسني، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ،القسم الأول ،مراجعة وإكمال محمد العروسي المطوي وبشير البكوش ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان ، (د.ت) ،ج2.

56- العريني السيد الباز ، الحضارة والنظم الأوروبية في العصور الوسطى ، القسم الأول كلية الآداب جامعة القاهرة ، دار النهضة العربية بيروت –لبنان ، 1963.

57- علبي أحمد ، ثورة الزنج ، مكتبة الحياة ، بيروت –لبنان ،1961.

58- عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،دار المعرفة الجامعية ،مصر ،2007م.

59- عمر عبد العزيز عمر ، دراسات في التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث و المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ،إسكندرية ،مصر 1992.

60- عمران محمود سعيد ؛ أحمد أمين سليم و آخرون ،التظم السياسية عبر العصور ، دار النهضة العربية لطباعة والنشر والتوزيع ،ط1 ،لبنان، 1999.

61- عودة محمد عبد الله ؛ إبراهيم ياسين الخطيب، تاريخ العرب الحديث ،الأهلية للنشر والتوزيع ، (د . ب) ، (د.ت).

62- غلاب عبد الكريم ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي : عصر الامبراطورية العهد التركي في تونس و الجزائر ،ط1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1426هـ- 2005م ، ج2 .

63- الفاسي علال ، الحركات الإستقلالية في الغرب العربي ،ط6 ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،2003.

64- طقوش محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ط2 ، دار النفائس ،لبنان 1434هـ/2013م.

65- قمعون الصحراوي ،حركة الإصلاح والتحديث في تونس ، تق :الشاذلي القليبي ، برق للنشر والتوزيع ، (د.ب) ، (د.ت).

66- اللولب حبيب حسن، الطلبة الجزائريون جامع الزيتونة وفروعه (1876-1962) التحديات والرهانات ،الحوار المتوسطي تونس ، 2017 ،ج 1

67- مالكي أحمد ، الحركات الوطنية و الإستعمار في المغرب العربي ،ط1 ،مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، يناير 1993.

68- مجموعة الباحثين ، المغيبون في تاريخ تونس الإجتماعين ، تنسيق :الهادي التيمومي ،ط 1 ، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، «بيت الحكمة »، بحوث ودراسات تاريخ تونس ،1999.

69- المحجوبي علي، إنتصاب الحماية بتونس ، تع: عمر بن ضو و حليمة قرقوري ، سراس للنشر ،تونس.

70- المحجوبي علي، النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر (لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت بالبايات)، دار سراس للنشر ،تونس ، 1999.

71- محمد نبيلة حسن ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2003م.

72- مروم بك خليل، أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والإجتماع ،لجنة التراث العربي ،ط1 –بيروت –لبنان –1971م.

73- مقلاتي عبد الله ، المرجع في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر (الجزائر –تونس–المغرب – ليبيا)، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 2013.

74- الهمامي حمة ، المجتمع التونسي دراسة إقتصاديةإجتماعية ،ط 1، صيامد ،صفاقس ،(د.ت).

75- ياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي في التاريخ الحديث ، ط 1 ، مكتبة العبيكان ، الرياض – السعودية ، 1997م

76- ياغي اسماعيل أحمد ؛ محمود شاكر، تاريخ العالم الاسلامي الحديث والمعاصر ، ط1 ، دار المزيج ، الرياض السعودية ، (د، ت)، ج2.

77- يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1999.

78- يحي جلال، المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ،كلية العلوم الإنسانية –جامعة أسيوط ، دار المعارف ، مصر ،1965.

79- يحي جلال، العالم العربي الحديث والمعاصر المدخل، المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية ،مصر ،1998 ، ج1 .

ب – المراجع المعربة :

1- أوليري ، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، تر : تمام حسان ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ،2002.

2- حورانيألبرت، الفكر الغربي في عصر النهضة (1798–1939) ، تر: كريم عزقول ،دار النهار للنشر ،بيروت–لبنان، (د. ت) .

3- الشريف محمد الهادي، تاريخ تونس في عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ،ط3 ، تع :محمد الشاوش؛ محمد عجينة ، دار سراس للنشر، تونس ، 1993.

4- شنيرب روبير، تاريخ الحضارات العام ، إشراف : حوزيف موريس ، تر: يوسف أسعد داغرفريد ، منشورات عويدات ،ط2 ، بيروت –لبنان ، (د.ت) ، مج 6.

5- غانياججان، ثورة علي بن غداهم ، تر: لجنة من كتابة الشؤون الثقافية ، المطبعة الرسمية بالجمهورية التونسية ، ط2، 1864.

6- القصاب أحمد ، تاريخ توني المعاصر (1881-1956) ، تع : حمادي الساحلي ، ط1 ، الشركة التونسية لتوزيع ، قرطاج-تونس ، 1986م.
7- لوتسكيفلايد مير ، تاريخ الأقطار العربية الحديثة ،ط8 ،1985 ، دار الفرابي ،بيروت -لبنان ،2007 .
8- هونكةزيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب "اثر الحضارة العربية في أوروبا " ، تر: فاروق بيضون ، كمال دسوقي ،مرا: مارون عيسى الخوري ،ط8، آراء الآفاق الجديدة ،بيروت ، 1413هـ/1993م.

- ج - المراجع بالأجنبية :

1- JeamGomiage,les Origines du protzctoratfrancais en tumisie(1861/1881) ,paris ,1959..

- **المقالات العلمية :**

- أ – المقالات العلمية باللغة العربية :

1- الجبوري هيثم محي طالب ؛ زينب حسن الجوري :«أثر حركة الإصلاح العثماني في تطور الحركة الفكرية في الوطن العربي في العهد العثماني المتأخر »مجلة جامعة بابل .م24 ،ع3 ،2015.
2- الخوة أحمدة ؛ رضا سعيد ، خير الدين في تقارير معاصريه والدراسات الحديثة ، مجلة الحياة الثقافية ، ع60 ،1991 ،منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، تونس.
3- دوحة عبد القادر، «الإصلاحات السياسية والإدارية لخير الدين التونسي في منتصف القرن 19م ،وعلاقتها بالحضارة الغربية » ، عصور جديدة ،ع11-12، 1434-1435/2014-2015م ، جامعة خميس مليانة - وهران .
4- سعد طاعة ، أزمة بنزرت الفرنسية 1961من خلال جريدة المجاهد الجزائرية ، مجلة الناصرية للدراسات الإجتماعية و التاريخية، ع1 ،مج8، جوان2017.
5- شبوح براهيم ، «ترجمة جديدة لخير الدين للأمير آلاي محمد القروي 1941/1842» ، مجلة الحياة الثقافية ، ع 60 ، 1991 ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، تونس.
6- الطائي حسين عبد على، روسيا و حرب القرم 1853-1856 ،مجلة العلوم الإنسانية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ،مج 22 ،ع 4 ، جامعة بابل ، كانون الثاني 2015.
7- الطائي عبد الرزاق خلف، خير الدين التونسي ومشروعه النهضوي ،دنيا الوطن ، 2010/5/21 .
8- الطريقي عبد الله بن إبراهيم ، أهل الحل والعقد صفاتهم ووظائفهم ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مكة المكرمة -السعودية ، ع185 ،السنة السابعة عشر ،1419 هـ.

9- عصفور محمد سلمان ، الحماية الفرنسية على تونس 1881والموقف العثماني والأوروبي منها ، مجلة ديالى كلية التربية للعلوم الانسانية ، 2012،ع 56.

10- عليوي جمعة ؛ فرحات الخفاجي ؛ وسام هادي عكار عظيم :«السياسة الفرنسية حيال تونس (1881-1914)»مجلة الأستاذ :م1 ،ع 214 ،جامعة بغداد ،كلية التربية ،إبن رشد للعلوم الإنسانية ،1436 هـ/2015م.

11- محمديرزيقة ، الإصلاحات الإقتصادية بإيالة تونس في عهد حمودة باشا(1782/1814(، مكتبة التاريخ العثماني مجلة كلية التربية الإنسانية للعلوم التربوية و الإنسانية، جامعة الجزائر ٢، ع30،كانون الاول، 2016م.

12- مزالي الصالح ، بعثة خير الدين للإستانة في سنتي 1288م و1281م ،المجلة الزيتونية، المطبعة التونسية، مج3،ج 6/5/4 .

13- مصطفى أحمد عبد الرحيم ، أحمدباشا مصلح ومفكر ،مجلة العربي، الكويت، كانون الثاني 1982م .

-ب - المقالات العلمية باللغة لأجنبية :

- Demeerseman .«AuscBereaau des premieres Reformes democratique en Tunisie Institu des Belle lettre arabe (IBLA).n°80 ,4ème Tri ,1957.

- **الرسائل والأطروحات الجامعية :**

1- بوضرساية بوعزة ،الحاج أحمد باي رجل دولة و مقاوم 1826-1948 ،رسالة ماجيستر ،إشراف جمال قنان ،جامعة الجزائر، 1990.

2- سيدي محمد رامي، المقاومات الشعبية في الجزائر وتونس (دراسة تاريخية مقارنة):أطروحة دكتوراه في تاريخ الحركة الوطنية المغربية ، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ،جامعة ابي بكر بلقايد ، تلمسان2016-2017م.

3-شايب قدادرة ، الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري (1934-1954) ، دراس مقارنة ، أطروحة دكتوراه ، قسم التاريخ وعلم الآثار للدراسات العليا ، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، جامعة منتوري -قسنطينة ،2007-2008.

- **الموسوعات و دوائر المعارف :**

1- أمين أحمد، زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، موسوعة أحمد أمين الإسلامية ،ط1 ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان ،(د، ت).

2- أبو حمدان سمير، خير الدين التونسي أبو النهضة ،موسوعة عصر النهضة ، الشركة العالمية للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع –مكتبة المدرسة ،دار الكتاب العالمي ،بيروت ، لبنان ، 1413/1993.

3- محمد طالبي ، دائرة المعارف التونسية تاريخ إفريقيا أعلام ، مواقع ، قضايا ، عدد خاص ، بيت الحكمة ، تونس ،1988.

4- الكيالي عبد الوهاب ، موسوعة السياسة ، إشراف التنقيح : رشاد البيبي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر دار الهدى ، بيروت ، لبنان ، ج1 (من أ –إلى ث).

- **المعاجم والتراجم :**

1- الزركلي خير الدين ، الأعلام –قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العربوالمستعربين والمستشرقين ، ط13، دار العلم للملايين ، بيروت –لبنان ، 1998 ، ج2 .

2- زيادتقولا ، أعلام عرب : محدثون من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، الأهالية للنشر و التوزيع ، 1994.

3- بن عاشور محمد الفاضل، تراجم الأعلام ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1970م.

4- العلايلي عبد الله وآخرون :المنجد في اللغة والأعلام جزء الاعلام ،دار المشرق ، ط29، بيروت ،لبنان.

5- محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ط 1 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان، 1982، ج2.

6- ياقوت الحموي أبي عبد الله، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،لبنان ،1397 هـ –1977م ، المجلد الأول.

- **الملتقيات والندوات :**

1- التيموميالهادي ،«خير الدينفي عيون الكادحين التونسيين نعمة ام نقمة ؟»، في خير الدين التونسي ، واقع الندوة التي إنتظمت بيت الحكمة (4ماي 2010)، المجتمع التونسي للعلوم والأدب والفنون ، بيت الحكمة –قرطاج ، 2011.

2- الحداد محمد ، «لماذا يظل خير الدين معاصرا لنا ؟» : في خير الدين التونسي ، (واقع الندوة التي انتظمت ببيت الحكمة 4ماي 2010)، ط1 ،المجتمع التونسي للعلوم والآداب و الفنون بيت الحكمة ، تونس ،2011.

3- الشريف محمد الهادي ، مشكلة الإصلاحات التونسية وارتباطها بمسألة لعلاقات التونسية العثمانية حوالي 1840 في الإصلاح و المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية

بالرباط ،جامعة محمد الخامس المملكة المغربية أيام الدراسة من 6إلى 9 رجب 1404هـ الموافق ل 20الى 23 أبريل 1983.

4- الظاهري عبد المالك ، محاولات اصلاح المجتمع و الدولة في الواقع العربي وسياقات التحول الراهن ، تقرير حول محتوى اليوم الدراسي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،الجمهورية التونسية ،مركز البحوث و الدراسات في الحضارات و الأديان المقارنة، سوسة تونس ، يوم الخميس 4مارس 2021.

5- الموسوعة التونسية المفتوحة ، ملف خير الدين التونسي ،يوم 6مارس 2017، الساعة 12:29.

- **المقالات والمواقع الإلكترونية :**

1- بلمعطي عبد اللطيف ، التجربة الإصلاحية المغاربية زمن القرن التاسع عشر :الإصلاحات السلطوية – تونس والمغرب –نموذجا ،انفاس نت ، من أجل الثقافة والإنسان ،6نيسان /أبريل2018م ، عبر الرابط التالي :https://anfasse.org/ .

2- الجزيرة ، مقال خير الدين التونسي : الوزير المصلح المستنير ،شخصيات تونسية ، نشر : يوم 14-09-2016 ، عبر الرابط التالي :https://www.aljazeera.net/ .

3- أحمد الحمروني ، كاتب وكتاب مصطفى خزندار لعادل كوكي ، جريدة الشروق التونسية ، 07 اوت 2021، جريدة الكترونية تمت زيارة الموقع في 18 ماي 2022 عبر الرابط التالي :
https://www.alchourouk.com/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3%D9%8A%D8%A9

4- سوالم أحمد،خير الدين التونسي رائد الإصلاح في تونس ، مجلة البيان أرشيف أعلام ، ع 414 ، الخميس 18 شوال 1443 هـ الموافق ل19 /05/ 2022م ، عبر الرابط التالي :
https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=13647&fbclid=IwAR1ZnprslIblQfnwPzvyhzrRkvepv67bweVe-Ku_jUjNYqqWaZkhCr_lpfE

5- عميرة عائد ؛ حفصة جودة ، خير الدين باشا :أبرز رجال الإصلاح العثماني في تونس ،حرر في [نون بوست]مدونات ،نشر بتاريخ 17-1-2018، عبر الرابط التالي :
https://www.noonpost.com/content/21649

6- ميرة ، إصلاحات خير الدين باشا ، زيارة في 26 مايو 2021، مقال عبر الرابط التالي :
https://www.zyadda.com/khairuddin-pasha-reforms/

7- موقع تريندات ، إصلاحات خير الدين باشا وأهم ركائز الحركة الإصلاحية 2022 ، عبر الرابط التالي :
https://ar.alnfaee.net/post/5986

الفهرس

الفهارس

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
الاهداء	
مقدمة	01
فصل تمهيدي أوضاع تونس العثمانية قبل ظهور الإصلاح السياسي خلال القرن 19م	09
1- أحوال تونس السياسية في القرن 19 م (مرحلة ما قبل الحماية).	10
2- مميزات القرن 19م.	28
3- فرض الحماية على تونس والمواقف الدولية منها.	31
الفصل الأول في حياة خير الدين التونسي لمحة عامة عن سيرته الذاتية	37
1- المبحث الأولمولد خير الدين الأصول والنشأة .	38
2- المبحث الثاني وطنية و مميزات شخصيته.	44
3- المبحث الثالث الوظائف السياسية التي إعتلاها خير الدين باشا التونس و وفاته	49
الفصل الثاني التعريف بمؤلف خير الدين الشهير " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك " وبوادر الإصلاحات السياسية بتونس.	60
1- المبحث الأول كتاب خير الدين "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"ظروف الكتابة، محتوى وأهمية المؤلف	61
1- المبحث الثاني عوامل ظهور الحركة الإصلاحية	75

السياسية في تونس خلال القرن 19م وخصائصها.	
2- المبحث الثالث محاولات الإصلاح السياسي في تونس.	81
الفصل الثالث إصلاحات خير الدين باشا التونسي السياسية المستمدة من الحضارة الغربية و تداعيات إجهاضها(1877/1853).	88
1- المبحث الأول ضرورة التوجه للإقتباس من أوروبا في التنظيمات السياسية للمجتمع التونسي	89
2- المبحث الثاني مشروطية القانون في اصلاح هيكل الحكم السياسي التونسي.	102
3- المبحث الثالث مناهضة خير الدين للنظام الإستبدادي داخل تونس و مواجهته بإصلاح سياسي قائم على النمط الغربي-الأوروبي.	108
4- المبحث الرابع تداعيات إخفاق خير الدين في حركته السياسية الإصلاحية على المجتمع التونسي.	119
الخاتمة	122
الملاحق	126
قائمة المراجع والمصادر	141
الفهرس	154
الملخص	157

الملخص :

هدفت هذه الدارسة لتعريف بشخصية**خير الدين باشا** واصلاحاته السياسية في البلاد التونسية من خلال مؤلفه القيم والشهير "**أقوم المسالك في معرفة احوال الممالك** "في الفترة بين (1822 /1889-1890م)،من خلال ريادته في تأسيس الحركة التنويرية والتحديثية بتونس، كونه شخصية فذة جمعت بين التنظير من خلال مؤلف والممارسة السياسية في فترة اعتلاءه الحكم بالبلاط التونسي كوزير أكبر، برزت منجزاته بين في الفترة الممتدة من (1873 الى 1877) ، و أهم ما دعا اليه ضرورة الإقتباس من أوروبا في التنظيمات السياسية التي نجحت لديهم وحققت رقيا حضارياوتوفيق بينها وبين ما جاء في الدين الإسلامي ، كما دعا لمناهضة الحكم الإستبدادي القائم على حكم فردي ، ولمواجهة الغزو الغربي الهادف لنهب ثروات المسلمين وطمس شخصيتهم .

الكلمات المفتاحية : خير الدين باشا –الاصلاح السياسي – تونس – اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك.

Summary:

This studysought to introduce the personality of **Khair al-Din Pasha** and hispoliticalreforms in the Tunisian country throughhisvaluable and famous book, **"The best path to Know the Conditions of Kingdoms"** in the periodbetween 1822/1877, throughhis leadership in establishing the enlightenment and modernizationmovement in Tunisia, being an outstanding figure whocombinedtheorizingfromDuring the author and the political practice duringhis ascension to power in the Tunisian court as a senior minister, hisachievementsemergedbetween the periodfrom (1873 to 1877), and the most important thinghecalled for was the necessity of quotingfrom Europe in the politicalorganizationsthatsucceeded in them and achievedcivilizedadvancement and reconciledthemwithwhatwasstated in The Islamic religion alsocalled for opposing the tyrannicalrulebased on individualrule, and confronting the Western invasion aimed at plundering the wealth of Muslims and obliteratingtheirpersonality.

Keywords:KhairEl-DinPasha - the reformmovement - Tunisia - the best path to knowing the conditions of kingdoms.